

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

ميدان لغة وأدب عربي

فرع أدب عربي

تخصص نقد عربي حديث



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

رقم: L15/458

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي

إعداد الطالب: بشير ربيحي

بعنوان :

المناهج السياقية في النقد الجزائري المعاصر

عبد المالك مرتاض - أنموذجا -

تاريخ المناقشة: 2017/05/24

لجنة المناقشة :

رئيسا

جامعة المسيلة

د./ محمد الصديق بغورة

مشرفا و مقرا

جامعة المسيلة

د/ نور عبد الرشيد

عضوا ممتحنا

جامعة المسيلة

د./ عبد الله بن قرين

السنة الجامعية :

(2017/2016)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هفتاد و سه

مقدمة

شهد الخطاب النقدي في الجزائر في العقدين الأخيرين من القرن العشرين تحولات كبرى وعميقة وبوتيرة متسارعة متداخلة المكونات والرؤى، هذه التطورات مست بنياته، وافتراضاته النظرية، وطرائقه في التحليل والمقارنة، وموقعه من النسق الثقافي العام. ويدين فيها للناقد الجزائري الدكتور (عبد الملك مرتاض) في إخراجها من دائرة الدرس التقليدي السطحي إلى سبر أغوار النص بتجاوز يطرح التساؤل والافتراض بعيدا عن الجاهز والقبلي من الأحكام. ويبقى مرتاض صاحب سبق الريادة في قراءة النصوص الإبداعية العربية، التراثية منها والحداثية بمختلف المناهج الغربية وما تتضمنه من آليات وأدوات واقتراحات عملية في مقارنة النصوص بمختلف أجناسها واستطاع أن يتمثل هذه المناهج دون أن ينساق وراء منطلقاتها الفلسفية وخلفياتها الفكرية. ويحافظ في الوقت ذاته على أصالة النصوص العربية التراثية.

ولعلّ هذا التنقل والتنوع بين المناهج لدى مرتاض هو الذي أملى علي فكرة هذه الدراسة الموسومة بـ : **المناهج السياقية في النقد الجزائري المعاصر - عبد المالك مرتاض نموذجاً** . التي أردت من خلالها البرهنة على أن كتابات مرتاض تشكل مشروعاً نقدياً واعياً مساهماً في النقد الأدبي بإيجابية من خلال بسط حلقاته وإجراءاته المستعملة في تحليل النصوص.

وقد انطلقت إلى ذلك محاولاً الإجابة عن التساؤلات التي شكّلت إشكالية هذا البحث:

*كيف قرأ المناهج النقدية الحداثية؟

*كيف تعامل مع هذه المناهج على المستوى التطبيقي؟

فجاء البحث على إثر ذلك مؤطراً بخطة مضبوطة وممنهجة على النحو الآتي :

مقدمة - و فصلين وخاتمة.

الفصل الأول: تناولت فيه إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر .حيث عرجت

على تعريف المنهج وما أحاطت به من إشكاليات ، انطلاقاً من الصرع بين التراث والحداثة

والتداخل بين المناهج النقدية وإشكالية ترجمة المصطلح ، ثم عرجت على المنهج النقدي في الجزائر من إرهابات ومحولات للتأسيس ودور عبد المالك فيه وتجربته النقدية.

أما الفصل الثاني : فكان للمناهج السياقية وموقف عبد المالك مرتاض منها ودوره فيها وأهم إنتاجاته النقدية فيها. فتناولت المناهج السياقية بدءا من المنهج التاريخي ثم النفسي والاجتماعي

أما الخاتمة : استخلصت فيها أهم النتائج التي تولدت عن الفصلين.

و طبيعة هذه الدراسة جعلتني أنوع في منهج دراستي فمن وصفي أحيانا إلى تحليلي أحيانا أخرى.

وقد اعتمدت في ذلك على مجموعة من المصادر أهمها : مؤلفات الناقد عبد المالك مرتاض من أهمها: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، وكتاب القصة الجزائرية المعاصر، وكتاب القصة في الأدب العربي القديم، وعلى كتاب الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض لمؤلفه (يوسف و غليسي) ، وغيرها من المراجع.

وبحثي واجهته صعوبات أهمها تنقلي من منهج إلى آخر لمعرفة مبادئه وأساسه ثم العودة إلى مرتاض وتحديد تعامله معه تنظيرا وممارسة، واشتدت الصعوبة حين انصرفت إلى البحث عن مراجع تنير الدرب فوجدتها تجتر المعلومات كأنها مرجع واحد.

وأخيرا أتوجه بالشكر الكبير لكل من ساعدني في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد كما أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير للأستاذ الفاضل المشرف على هذا البحث الذي كان خير عونٍ وسند لي في هذا البحث، فهو لم يبخل علي لا بنصائحه و توجيهاته القيمة جدا، ولا بتشجيعه وحثه الدائم على المجهود الفردي للطالب، ولا حتى بمادته العلمية فجزاه الله عني كريم الجزاء.

الفصل الأول:

المنهج وإشكالياته في النقد العربي المعاصر

1- تعريف المنهج.

1-1- لغة

1-2- اصطلاحاً

2- إشكاليات المنهج في النقد العربي

1-2 المنهج بين التراث والحداثة

2-2 التداخل المنهجي

2-3 أزمة المصطلح

3- النقد الجزائري الحديث والمعاصر

1-3 إرهابات النقد في الجزائر

2-3 محاولات التأسيس لنقد جزائري

3-3 عبد المالك مرتاض والتجربة

النقدية

تمهيد:

ليست إشكالية المنهج بالمسألة الجديدة في الدرس النقدي العربي، بل تمتد إلى فترة الركود الحضاري التي شهدها التاريخ العربي لحقبة طويلة، والتي ولدت حالة من الركود العقلي، الذي جعل من الذات العربية ذاتها فارغة تاريخيا وصارت "تستوعب ما أمكنها من ثقافة الآخر ومعطياته الفكرية أمام حالة الانبهار بمنجزه الثقافي والحضاري، على الرغم من كونه مصدر ما أصاب الأمة من كوارث وأزمات" (1)، ومع حملة نابليون على مصر، أدرك العقل العربي حجم الهوة بينه وبين الآخر، واستشعرت الذات العربية فراغها الفكري والثقافي ولسد تلك الفجوة وذلك الفراغ وجد النقد العربي نفسه أمام خيارين إما أن يشق نهضته بإعادة إحياء التراث البلاغي القديم ليستلهم منه ما يمكن أن يكون منهجا قائما بذاته يعتمد عليه في البحث العلمي، وإما الانصهار في المناهج الغربية الحديثة. و لا تزال مناهجنا النقدية يتجاذبها إلى يومنا هذا، هذان القطبان بالرغم من تلك الأصوات التي تحاول إقامة توافق بينهما. على أن الخوض في هذه الإشكالية يستوجب علينا الوقوف على مفهوم المنهج سواء من حيث الدلالة اللغوية أو الاصطلاحية.

¹ -مسلم حسن حسين:الخطاب النقدي العربي المعاصر إشكالية المنهج والنظرية،مجلة آداب البصرة، العدد 75 سنة

1. تعريف المنهج:

1- لغة : جاء في لسان العرب في مادة" نهج "طريق نهج: بي ن واضح، وهو النهج؛

قال أبو كبير: فأجزته بأفلّ تحسب أثره نهجا أبان بذى فريغ مخرف

والجمع نَهَجَات، و نُهَج، ونهوج .والمنهاج .كالمنهج . وفي التنزيل قال الله تعالى: " لكل

جعلنا منكم شرعة ومنهاجا"⁽¹⁾ والمنهاج: الطريق الواضح، وفي حديث العباس: "لم يمت

رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى ترككم على طريقة ناهجة"، أي واضحة بينة؛

والنهج: الطريق المستقيم؛ وقد نهج الثوب والجسم إذا بلى⁽²⁾ .

*وفي الصحاح : وهو مصدر كل المعاجم⁽³⁾ بحسب تعبير (مرتاض)(النهج) بوزن

الفلس و (المنهج) بوزن المذهب و (المنهاج:) الطريق الواضح.

و(نهج)الطريق أبانه وأوضحه. و(نهجه) أيضا سلكه وبابهما قطع، وفي الحديث "أنه رأى

رجلا (ينهج) أي يربو من السمن⁽⁴⁾ وأنهجت الدابة: صارت كذلك؛ قال يزيد بن الخدّاق

العبدى: وَلَقَدْ أَضَاءَ لَكَ الطَّرِيقُ وَأَنْهَجْتَ سُبُلَ الْمَسَالِكِ وَالْهُدَى يُعْدي.

*كما يوظف " المنهج" أحيانا على أنه الأسلوب المتبع لبلوغ غاية معينة، وقد ورد ذلك

في معجم النقد العربي القديم:"النهج: هو الطريق والأسلوب، قال القاضي الجرجاني وهو

يتحدث عن أنواع الشعر وأغراضه:" فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به، وطريق لا

يشاركه الآخر فيه"⁽⁵⁾ .

¹ - سورة المائدة ، الآية: 48.

² - ابن منظور: لسان العرب ،دار المعارف ،مصر، طبعة محققة، ج 05 ،ص4554-4555.

³ - عبد المالك مرتاض :مائة قضية ...وقضية ،دار هومة الجزائر، 2012 ،ص09.

⁴ - أبو بكر الرازي:مختار الصحاح ، دار ومكتبة الهلال ،بيروت، 1988 ،ص681.

⁵ - أحمد مطلوب:معجم مصطلحات النقد العربي القديم،لبنان ناشرون،لبنان،ط2،2001،ص434.

الفصل الأول: المنهج وإشكاليته في النقد العربي المعاصر

* وفي معجم المصطلحات العلمية والفنية جاء تعريف كلمة " المنهج " :الطريق الواضح في التعبير عن شيء أو في تعليم شيء طبقاً لمبادئ معينة، وبنظام معين، بغية الوصول إلى غاية معينة⁽¹⁾ .

* وفي المعجم الوسيط: " المنهج هو الخطة، ومنه منهاج الدراسة ومنهاج التعليم ونحوهما " (2) .

- إن التعاريف اللغوية السابقة لكلمة " منهج "تركز على مجموعة من الدلالات نجملها في:

* الطريق البين الواضح الذي نسلكه لبلوغ المقاصد.

* أسلوب نتبعه في البحث والدراسة.

* يتضمن جملة من المبادئ والقوانين تنير هذا الطريق.

أما في المعاجم الغربية:

استعمل اليونان Meta hodes قديماً وتعني عند (أفلاطون) "البحث، النظرية، المعرفة"، و في الفرنسية La méthode وهي مشتقة من الجذر الإغريقي méthode " وتعنيان السبيل أو (methodus) المسلك واللاتيني ويعرف القاموس (روبير الصغير PETIT Robert بعد أن انتقل بالكلمة من معناها اللغوي إلى المعرفي في أن المنهج مجموعة من المساعي التي يتبعها الذهن ابتغاء استكشاف الحقيقة والبرهنة عليها في العلوم⁽³⁾ لتتوسع بعد ذلك في استعمالها على النحو التالي:

Méthodique - نسبة إلى المنهج :المنهجي :

Methodiste . المولع بصرامة المنهج :المنهجاني

Méthodologie - علم المنهج :المنهجية

1- يوسف الخياط:معجم المصطلحات العلمية والفنية،(عربي،فرنسي،انجليزي،لاتيني)،دارلسان العرب،بيروت.

2- مجمع اللغة العربية:المعجم الوسيط، القاهرة، ج2، مادة"تهج".

3 - Le petit Robert Methode p : 5³

الفصل الأول: المنهج وإشكاليته في النقد العربي المعاصر

Méthodologique - المتعلق أم المنسوب إلى المنهجية" (1) وهو الطريق التي يسير عليها دارس ليصل إلى حقيقة في موضوع من موضوعات (...) وقضاياه " (2).
وفي الثقافة الانجليزية يصطلح عليه (The method).

*من التعاريف السابقة تكاد تتفق جميع اللغات على أن المنهج هو المسلك أو الطريق، وهو ما يعبر عنه ناقدنا بقوله: "وهو من أعجب ما يتفق من التلاقي اللغوي وتداخله" (3).
وتتحكم فيه مجموعة من المبادئ والقوانين، إلا أن هذه الدلالات اللغوية تبقى غير كافية، ما لم يُضَف إليها الدلالة الاصطلاحية.

1-2- المنهج اصطلاحاً:

تكاد تجمع كل التعاريف على أن المنهج هو "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيم على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة" (4) إن التعريف الذي أوردناه يشير إلى أن المنهج يتضمن مجموعة من القوانين والقواعد التي يستعان بها للوصول إلى الحقيقة، وهذه الحقيقة تتطلب حضور الجانب العقلي والجانب العلمي للكشف عنها.

أ- الجانب العقلي: يرتبط المنهج في هذا الشق بالمنطق الذي يتطلب إجراء عمليات فكرية وعقلية لأنه "يلتزم بحدود الجهاز العقلي ليستخرج النتائج منها. وهو في ذلك حريص على عدم التناقض" (5) ويرى بعض الباحثين منهم (العربي سليمان) أن أول من استعمل المنهج بهذا المفهوم الحديث هو (أرسطو) حيث كان يقوم عنده على ركيزتين، الأولى منطقية تبدأ بالمسلمات ثم تنتقل إلى طبقات الاستنتاج المنطقي الصارم لتنتهي بالنتائج. والثانية إجرائية تبدأ بالمشاهدة الدقيقة، ثم تنتقل إلى استنباط التعميمات في سلم تتصاعد على

1- ينظر: عبد الملك مرتاض: مائة قضية وقضية، ص11.

2- علي جواد الطاهر: منهج البحث الأدبي، مكتبة النهضة، العراق، ط2، 1972، ص24

3- عبد الملك مرتاض: مائة قضية وقضية، ص10.

4- عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي. القاهرة دار النهضة العربية، ص05.

5- صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر الهيئة المصرية للكتاب، 1997، ص12.

الفصل الأول: المنهج وإشكاليته في النقد العربي المعاصر

درجاته حتى تصل إلى المبادئ الأولية. (1) إلا أنه أصبح عليه صبغة فلسفية تشمل عمليات فكرية وعقلية معقدة ، وهو ما جعل مرتاض في تعريفه الاصطلاحي للمنهج يسمى هذا الجانب ب"المعنى الفلسفي" (2) هذه المعنى غايته سلوك طريق يفضي إلى الحقيقة.

ب- الجانب العلمي : في عصر النهضة بدأ الباحثون ينحون منحى علميا مرتبطا بالواقع ومعطياته وقوانينه وقد عرف المنهج هذا التوجه مع ديكارت " Descarts " في كتابه "مقال عن المنهج" حين يعرفه بقوله : "المنهج مسار عقلائي ينهض به الذهن من أجل بلوغ إلى المعرفة أو إلى البرهنة على الحقيقة" (3) وهذا الجانب من المنهج يعرفه مرتاض بالمعنى الثاني وهو " معنى تنظيمي إجرائي وغايته مسار ينتهي بصاحبه إلى التوصل إلى نتيجة" (4).

إلا أنه يرى أن الجانبين السابقين فيهما التباس فيتداخلان قليلا أو كثيرا، من حيث أن كلا منهما منبثق عن الفلسفة واصطناع العقل والمنطق، مستشهدا عن رأيه هذا يقول ديكارت: "يبدو لي أي كوّنت منهجا، من اعتبارات و مبادئ، امتلكت من خلال اتباعه ما سمح لي بإثراء معرفتي شيئا فشيئا، والبلوغ به إلى أعلى غاية ممكنة " (5).

إن هذا التطور الحاصل في تحديد المفهوم سببه النمو الفكري العلمي التجريبي من جهة ، والتزاوج بين طرائق العلماء والمنهجين، ومن هنا تنشأ أول إشكالية حول تحديد مفهوم المنهج ، حيث تجاذبه الجانبين العقلي والعلمي. وفي محاولة من (صلاح فضل) لإحداث توأمة بين الجانبين يقول: " فقد يطلق المنهج ليراد به المنظومة المرتبة التي يمكن عن طريقها الوصول إلى نتائج منطقية وقد يطلق به المنهج ليراد به المنهج التجريبي " (6).

1- فخري ماجد: أرسطو المعلم الأول. الأهلية للنشر والتوزيع، 1977، ص145-155.

2- عبد الملك مرتاض: مائة قضية وقضية، ص 11.

3- Descartes Methode op. cit. in Hachette, Dictionnaire.

4- عبد الملك مرتاض : مائة قضية وقضية، ص12.

5- Descartes, Discours de la Methode 02 : تر: عبد الملك مرتاض: مائة قضية وقضية، ص12.

6- صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر ، ص13.

الفصل الأول: المنهج وإشكاليته في النقد العربي المعاصر

و يعترف لنا في موضع آخر الناقد (فاضل ثامر) وبعد انفتاحه على المناهج النصية على أننا في فترة الستينات لم نكن نعي شيئاً عن المنهج رغم أننا كنا نزعم ذلك: "لم أكن أمتلك إلا فهما أوليا لمعنى المنهج في النقد على الرغم من أنني كنت أزعم لنفسي وللآخرين بأنني كنت أمتلك فهما واضحا وعريضا لمعنى المنهج، وكنت آخذ على النقاد أو بعضهم مسألة غياب المنهج النقدي الواضح، لكنني أشعر الآن وأنا أضع نفسي على كرسي الاعتراف الذاتي، بأنني شخصيا، وهذا بالتأكيد ينطبق على زملائي الآخرين، لم أكن أدرك إلا فهما محدودا لمعنى المنهج" (1).

وقد وجدنا ناقدنا (مرتاض) في كتابه "مائة قضية وقضية" في قسمه المتعلق بمفهوم المنهج لا يخالف مفهوم (صلاح فضل) و(سيد البحراوي) و(أحمد بدر) باستثناء حرصه الشديد- وهو الطريق الذي لزمه- في كل أعماله على التأصيل، حيث لم يشر الباحثون إلى "المنهج الشكي الديكارتي" في الدراسات العربية القديمة، وهو ما سعى لتأكيد وجوده في الفكر العربي القديم مع أبي حامد الغزالي في كتابه "المنقذ من الضلال". وعن هذا الحضور يقول: "وان كنا لا ندعي أن (أبا حامد الغزالي) كان منهجيا في منهجه الشكي، إلا أننا لا نجد في التاريخ من سبقه إلى عرض تجربته الشكية في المعرفة اليقينية، أي البحث عن الحقيقة الإلهية في خلوه بمسجد الصخرة بالقدس، وكل ما في الأمر أن شك الغزالي شك روحي وشك ديكارت شك " فلسفي " غايته البحث عن الحقيقة من حيث هي" (2)، ومن التعاريف السابقة فإن المنهج "مجموع العمليات العقلية والخطوات العلمية التي يقوم بها الباحث بهدف الكشف عن الحقيقة أو البرهنة عليها بطريقة واضحة وبديهية تجعل المتلقي يستوعب الخطاب دون أن يضطر إلى تنبيهه" (3).

1- فاضل ثامر: شهادة شخصية مقدمة إلى الباحث مرشد الزبيدي بتاريخ 1993/12/25، وقد أذن بنشرها. مرشد

الزبيدي: اتجاهات نقد الشعر العربي فيا لعراق، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص 49.

2- عبد الملك مرتاض: مائة قضية وقضية، ص 14.

3- العربي سليمان: مجلة علامات ج 59، مج 15، صفر 1427- مارس 2006، ص 37.

الفصل الأول: المنهج وإشكاليته في النقد العربي المعاصر

مما سبق فإنه لا يمكن حصر المنهج في الطريق، أو المسلك الذي يسلكه الباحث فيصير بذلك قالبا جاهزا وأداة طيعة في يده يقلبها كيف يشاء ، وإنما هو عبارة عن منظومة متكاملة تشمل جملة من المفاهيم .تتطلب الوعي والرؤيا .فمجرد تبني مفهوما منها يستوجب مقدرة شخصية وجهدا هاما لا يكون بإعادة إنتاجها بل في بلورتها باعتبار حقلها الذي وجدت فيه ، وهو جوهر أزمة المنهج في النقد العربي عموما والجزائري خصوصا.

ولتحقيق كل هذه الغايات استوجب أن يكون للباحث أدواته التي بها يكشف ويفحص ويحلل ويبرهن للوصول إلى النتيجة.وقد تداخل المنهج مع مفاهيم أخرى كالنظرية والمذهب والمدرسة وهو ما ازد في حدة هذه الإشكالية ، فقد أشار الدكتور (علي جواد الطاهر) إلى هذا التداخل بين مصطلح المنهج والمفاهيم المقاربة له " المذهب -التيار- النظم - المدارس"⁽¹⁾. حيث ولد هذا التداخل إشكالية في تصنيف المناهج،و يضرب مثلا عن ذلك كتاب ولبر سكوت (الموسوم بـ Five Approaches of Literary Criticism الذي ترجم إلى العربية " خمس مقاربات إلى النقد الأدبي". كما ترجم مرة أخرى إلى "خمس مداخل إلى النقد الأدبي" في حين كتابه كان يعالج قضية المنهج"⁽²⁾ .

إن هذه الإشكالية حول تحديد المفهوم لا تقتصر على نقادنا بل نجد له صدى عند كبار النقاد الغربيين من أمثال "رينيه ويليك" و" أوستين وأرين "حيث لا يستعملان مصطلح المنهج في كتابهما (نظرية الأدب) صرفا خالصا .إذ في الكثير من فصول الكتاب يعبران عنه بمصطلح المقاربة أو الدراسة.

الخلاصة:من الدلالة اللغوية والاصطلاحية لكلمة (منهج) يمكننا القول بأن المنهج هو الطريق المتبع للوصول إلى الهدف المنشود رغم الموانع والصعاب .وفي الثقافة العربية، لا يختلف الأمر كثيرا فهو خطة واضحة مضبوطة بمقاييس وقواعد توّطرها خلفية فكرية

1- علي جواد الطاهر:مقدمة في النقد الأدبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والمكتبة العالمية ،بغداد، ط2 ، 1983، ص395.

2- سيد البحراوي :البحث عن منهج في النقد العربي الحديث،دار شرقيات ،القاهرة ،ط1993،1، ص220.

وفلسفية وتتطلق من مجموعة من الفرضيات والأهداف والغايات ويمر عبر سيرورة من الخطوات العلمية والإجرائية قصد الوصول إلى نتائج ملموسة ومحددة بدقة⁽¹⁾. كما يعاني المنهج في نقدنا العربي جملة من الإشكاليات نحاول الوقوف عليها في المبحث التالي.

2. إشكاليات المنهج في النقد العربي المعاصر:

1.2 المنهج بين التراث والحداثة:

كان بديهياً أن يظهر صراع بين التراث والحداثة في ظل غياب منهج نقدي عربي معالمه واضحة، فكل المناهج التي نتعامل معها مستعارة نشأت في بيئة تحمل فكراً وفلسفة ورؤية غربية، واعتدى نقدنا صدى لهذه المناهج: "مختلف الاتجاهات في نقدنا العربي الحديث والمعاصر-عامة-هي أصداً لتيارات نقدية أوروبية، وبالتالي فهي أصداً كذلك لما وراء هذه التيارات من مفاهيم إبستمولوجية وإيديولوجيات⁽²⁾ إن هذه الخلفيات التي تحملها المناهج الغربية، ساهمت في ظهور اتجاه تقليدي في النقد العربي يرمي بكل جهوده لمنع الانزلاق والانسياق وراء هذه الخلفيات و التأسيس لنظرية نقدية عربية معاصرة، بالعودة إلى تراث الأمة الأصيل وإعادة قراءته ورسم معالم منهج عربي خالص يحمل بصمات التفكير العربي و منطلقاته، حفاظاً على الذات العربية من الانصهار والاضمحلال. وصار التراث "ذاكرة للتمجيد و تاريخ للتعظيم، والى ذهنية تجعلها تنظر إلى الوراثة لإشباع رغبتها في التقدم"⁽³⁾ وآخر حدائثي أعلن صراحة القطيعة مع التراث واعتبر العودة إليه تراجعاً وتبني بذلك موقفاً متطرفاً منه؛ ودعا إلى استعارة المنطلقات النظرية الغربية بحذافيرها بما في ذلك آلياتها المنهجية وتطبيقها على الأدب العربي. وبهذه النظرة الأحادية التي أقصت كل

1- ينظر: العيد جلولي: إشكالية المنهج في النقد العربي الحديث والمعاصر، المكتبة الأدبية (موقع أنترنيت).

2- عبد الله إبراهيم: الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1999، ص56.

3- زكي الميلاد: من التراث إلى الاجتهاد، الفكر الإسلامي وقضايا الإصلاح والتجديد، المركز الثقافي العربي، بيروت،

الدار البيضاء، ط1، 2004، ص245.

الفصل الأول: المنهج وإشكاليته في النقد العربي المعاصر

المؤشرات التراثية تكون "قد غيبت كثيرا من العناصر الجوهرية و المكونات التي يحفل بها التراث والتي ظلت رهينة الثبات و السكون، و في الوقت نفسه استبعدت الحس التراثي ومن ثم تضاعل وعي المثقف بأهمية التراث في وصل الصلات بين الأجيال" (1).

وفي ظل هذا التجاذب بين الأصالة والمعاصرة والتراث والحداثة، طمست ملامح المنهج النقدي العربي. وقد أدرك ثلة من النقاد العرب من أمثال (عبد الملك مرتاض)، حجم هذه الأزمة، فحاول التأسيس لمنهج توافقي يجمع بينهما. وهذا ما يظهر جليا في كتاباته النقدية، فلا الحداثة وحدها قادرة على بلورة هذا المنهج كما لا يتسنى للتراث وحده فعل ذلك، وهو ما يشير إليه: "نتيجة لذلك أننا صنفان اثنان، صنف محدث مقلد تقليدا أعمى و صنف إتباعي مقلد للأجداد تقليدا أعمى و واضح أن الشر كل الشر في الحاليين" (2)، فالشر يأتي من الحداثة في تكريسها لثنائية الاغتراب والاستلاب، وشر التراث يأتي من نشره لثقافة الجمود والعيش في زمن غير زماننا.

وتفاديا لهذا الشر فإن (مرتاض) يرى الخير في تكييف المناهج الغربية وفق ما يستدعيه النص الأدبي العربي، حتى يحافظ على هويته العربية و قد أكد على ذلك في أكثر من مناسبة على أنه لا ينقل هذه المناهج حرفيا كما نظر إليها أصحابها، بل يتصرف فيها بما تمليه عليه الخصوصية العربية وعن هذا التصرف يقول: " أقول إنه المنهج الذي نقله صورة طبق الأصل عن أمريكا ومن فرنسا بالذات، وإنما أن أقرأ من هذه المناهج وعن هذه المناهج ثم أحاول أن أرسم طريقا شخصيا لنفسي بحيث لا يصبح ما أكتب غريبا عن القارئ العربي" (3). وهي حقيقة يدعمها من خلال المقدمات المنهجية الطوال التي تنصدر كثيرا من مقارباته النقدية، والتي يحاول فيها تحديد الإطار النظري و الابدستمولوجي والتطبيقي في أصله الغربي، مضيفا عليها تلك المسحة التراثية حين يثبت جذورها في التراث

1- شارف مزاري: جمالية الإيقاع في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه (مخطوط)، جامعة وهران، 2004، ص 04.

2- عبد الملك مرتاض: ألف ليلة و ليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 11.

3- جهاد فاضل: أسئلة النقد (حوارات مع النقاد العرب)، الدار العربية للكتاب، ص 215..

الفصل الأول: المنهج وإشكاليته في النقد العربي المعاصر

العربي وأقام منهجه على هذه الرؤية التي تبتغي التأسيس فيما تروم الإبداع و التقرد والتجديد، و نعتقد أننا لا نكون مبالغين إذا زعمنا أنها - هذه الرؤية /المشروع - تمثل قفزة نوعية وانجازا مهما في الدراسات النقدية العربية الحديثة، سواء من حيث صرامتها المنهجية، أو من حيث تماسكها الفكري و فاعليتها العلمية و وجاهة طروحاتها، أو من حيث تأصيلها النقدي"⁽¹⁾.

من خلال قراءتنا للمنجز النقدي لـ (مرتاض) لا نعثر له على كتاب أو دراسة إلا و تحدث عن التراث بإسهاب كما لا يكاد يترك فسحة إلا و تحدث فيها عن الحداثة.وذلك سعيا منه للعثور على المنهج الذي طالما بحث عنه لتمكينه من مقارنة النص الأدبي، كما يشير إلى قضية هامة وهي كيفية التعامل معهما: "كيف نفيد من التراث، و نتعلق بالحداثة في الوقت ذاته؟ وهنا تكمن الحكمة، أي هنا تتجلى المشكلة التي تتطلب حلا يقوم في كيفية حُسن تمثّل هذين القطبين و الإفادة منهما معا بحيث يصبحان جدلية التفكير الأصيل المتجدد..."⁽²⁾.

إن الإجابة عن هذا التساؤل الذي يطرحه مرتاض يتطلب وعيا ورؤية ثاقبة، فلا يجوز التصرف فيهما اعتباريا خصوصا التراث الذي: " أنشأته العقول الناقدة ، والعبقريات المبدعة، وهذا الضرب من التراث هو الذي نعده ثابتا بل هو قابل كل القابلية للنقاش و الإثراء و النقد و للأخذ و الرد"⁽³⁾ يقصد الناقد من وراء هذا إلى أن المسموح بالتصرف فيه هو النص الوضعي لأنه قابل للنقاش، وبنزه ذلك النصوص المقدسة التي تتأبى أن تضاء بأدوات وضعية.

1- قادة عفاق :هاجس التأسيس النقدي لدى" عبد الملك مرتاض "بين وعي التراث و طموح الحداثة مجلة نزوى، عمان، ع38، أبريل2004، ص276.

2- عبد الملك مرتاض : أ - ي ، ص9-10.

3- عبد الملك مرتاض:هل الحداثة فتنة ؟ مجلة المنهل ، ع516، مجلد36، يونيو1994، ص 131.

2.2. التداخل المنهجي:

بعد تجاوز الناقد العربي مرحلة الانبهار التي أحاط بها المناهج الحداثية، أدرك أنه لا وجود لمنهج شامل له القدرة على كشف أغوار النص وذلك لافتقاره لتقنيات يسد بها متطلبات هذا النص: " لا يوجد منهج كامل، مثالي، لا يأتيه الضعف ولا النقص من بين يديه ولا من خلفه، و إذن، فمن التعصب (...) التمسك بتقنيات منهج واحد على أساس أنه، هو وحده، ولا منهج آخر معه، مجردة أن يُتبع"⁽¹⁾. من خلال هذا القاضي الحكم بقصور المنهج الواحد دبت الفوضى المنهجية تنظيرا و تطبيقا في الساحة النقدية العربية، حيث اتخذ عديد النقاد من ذلك تفويضا لهم بالتصرف في المنهج وفق رؤيتهم الخاصة: "و انطلاقا من حتمية انعدام الكمال في أي منهج ، فإننا لا نستطيع، من حيث المبدأ ، إلى أي منهج إذا ؛ و نجتهد ، أثناء الممارسة التطبيقية، أن نضيف ما استطعنا إضافته من أصالة الرؤية لمنح العمل الأدبي الذي ننجزه شيئا من الشرعية ، الإبداعية، و شيئا من الدفاء الذاتي، معا،..."⁽²⁾.

إن هذا الاجتهاد على مستوى الممارسة والذي اعتد به الكثير وُلد أزمة حقيقية، لا يزال يعاني منها النقد العربي، تتمثل أساسا في وجود اختلاف شاسع بين النظرية والتطبيق مما دفع بناقدا إلى الاعتذار من القراء أثناء خرقهم لهذه المناهج.

يرى بعض النقاد أن هذا التصرف في المنهج هو نتيجة لعسر في فهم أبجديات المنهج الواحد: "هذا الاعتذار عن جمع أكثر من منهج نقدي واحد ليس ما يسو سوى ضعف الإحاطة بمفاهيم المنهج الواحد ومقولاته ووجب التوفيق بين أكثر من منهج إن لم نقل التفيق"⁽³⁾ وإذا كان (محمد عزام) يرى في ذلك صعوبة في تمثيل المنهج الواحد ، فإن رأيا آخر يرى في ذلك انحرافا في الأدواق ، وابتعادا عن المنهجية: "وعلى الرغم من طغيان

1- عبد الملك مرتاض: التحليل السيميائي للخطاب الشعري، ص18.

2- المرجع نفسه، ص19.

3- محمد عزام : تحليل الخطاب الأدبي، ص137.

الفصل الأول: المنهج وإشكاليته في النقد العربي المعاصر

الاتجاه الأسلوبى البنوي على نظرية النقد الأدبي في أوروبا وأمريكا وإقبال على ترجمة هذه الأعمال النقدية أو عرضها أو تطبيق مناهجها من قبل النقاد العرب المعاصرين، فإن هذه الاتجاه النقدي الوافد ظل محصورا في نشاط عدد قليل من النقاد، فيلجئون إلى التعمية والإبهام لستر الضحالة والسطحية. واكتست مقارنة بعضهم بالاضطراب لأنهم لم يلتزموا بطرائق التحليل الأسلوبى فخرجوا عنها في كثير من الأحيان، معتمدين أذواقا منحرفة، وختل أعمالهم من كل منهجية⁽¹⁾ يمكننا القول أن هذه الإشكالية تسببت في تشعبها عدة عوامل:

* إن المنهج ورقة ذات وجهين، وجه مرئي وهو الذي يتعامل معه جل النقاد باعتباره مجرد أدوات إجرائية أو طريقة في الدراسة " لقد شاع أن المنهج مجرد وسيلة للبحث عن المعرفة وفحصها، أي مجرد خطة مضبوطة بمقاييس، وقواعد وطرق تساعد على الوصول إلى الحقيقة . وتقديم الدليل عليها، هذه مجرد أدوات إجرائية، وهي في نظرنا، لا تمثل إلا جانبا واحدا من المنهج، أقترح تسميته بالجانب المرئي في المنهج ووجه لا مرئي وهو ما يحمله من فلسفة وخلفيات تتعارض و توجهات الناقد، فيتفادها أثناء الممارسة ويؤدي ذلك إلى خلل منهجي " ولكن هناك جانب آخر غير مرئي، باعتبار المنهج أولا، وقبل كل شيء، وعيا ينطلق من مفاهيم ومقولات وأحاسيس ذاتية، وتنتج عن رؤية، ويتولد تصور وتمثل للهدف من المعرفة من هذين الجانبين: المرئي . واللامرئي، يتكون المنهج- أي منهج صحيح -من حيث هو منظومة متكاملة، ومتناسقة"⁽²⁾.

فالمنهج يقوم على هذه الثنائية " المرئي واللامرئي " لتتجلى معالمه، فليس المنهج أداة إجرائية ولا هو خلفية فلسفية أو فكرية، فالمرئي منه ما هو إلا ترجمة لما هو لا مرئي. فلا يقبل المنهج الفصل بينهما.

* كما أن المناهج النقدية الغربية كانت تعنى بدراسة النصوص الأدبية من زاوية نظر خاصة، فالمناهج السياقية منحت السلطة للمبدع وأهملت النص، ثم جاءت المناهج النصية

1- عدنان حسين قاسم: الاتجاه الأسلوبى في نقد الشعر العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع، 2001، ص15-16.

2- عباس الجراري: خطاب المنهج، منشورات السفير، مكناس، المغرب، ط1، 1990، ص40-41.

الفصل الأول: المنهج وإشكاليته في النقد العربي المعاصر

خصوصا البنيوية ومشتقاتها وزعزعت تلك الثوابت النقدية التي كانت سائدة حين افتكت السلطة من المبدع وقتلته، وجعلتها حكرا على النص وحده ، ثم جاءت مناهج ما بعد البنيوية التي جعلت السلطة ملكا للقارئ.

وفي ظل هذا التداول غابت عن الناقد من تلك الزاوية حقائق معينة، صغيرة أو كبيرة، لأن النظر من تلك الزاوية يقتضي غياب أجزاء من الصورة. هذه الأجزاء هي التي جعلت النقاد يتبنون التركيب المنهجي لمشاهدة الصورة كاملة. وهو ما يؤكد لنا " أنه لا يوجد منهج كامل يمكن الاستقامة إليه والاعتداد به في أنشطة البحث في العلوم المختلفة"⁽¹⁾.

* هذا وقد شاعت عند الغربيين أنفسهم ظاهرة التركيب المنهجي ، و هو اعتراف ضمني لقصور المنهج الواحد في سبر أغوار النص ، وهذا ما يشير إليه (هايمن): " لو كان في مقدورنا أن نصنع ناقدا حديثا مثاليا لما كانت طريقته إلا تركيبا لكل الطرق والأساليب العملية التي استغلها رفاقه الأحياء، وإذن، لاستعار من جميع تلك الوسائل المتضاربة المتنافسة وركب منها خلقا سويا لا تشويه فيه"⁽²⁾ وهو ما جعل ناقدنا (مرتاض) يتبنى هذه الطرح " التعددية المنهجية أصبحت تشيع الآن في بعض المدارس النقدية الغربية، ونرى أن لا حرج في النهوض بالتجارب الجديدة تمضي في هذا السبيل"⁽³⁾.

إن هذه التعددية المنهجية عمقت من إشكالية المنهج في النقد العربي فقد ألفينا لهذا التركيب تسميات متعددة:

المنهج المتكامل - المتعدد - المتكثر - منهج اللامنهج - منهج من لا منهج له... إلا أن ناقدنا يرى ضرورة التمييز بين المنهج المركب والمنهج التكاملي؛ فهذا الأخير يحاول الجمع بين كل المناهج سياقية أو نسقية في التعامل مع النصوص ، وهو ما تبناه : الدكتور (أحمد هيكل) ويعرفه بالقول: " منهجي في النقد أسميه، ويسميه كثيرون وأنا منهم، المنهج

1- عبد الملك مرتاض " مائة قضية وقضية"، ص21.

2- مرشد الزبيدي: اتجاهات نقد الشعر العربي المعاصر في العراق، ص163.

3- عبد الملك مرتاض : التحليل الخطاب السردى ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص06.

الفصل الأول: المنهج وإشكاليته في النقد العربي المعاصر

التكاملي، المنهج الذي أستفيد فيه من كل ما طرح من مذاهب نقدية، على أن أغلب وأنا أقوم بالعملية النقدية. منها يتطلبه العمل الذي أنفذه (...) لكني لا أحصر نفسي في منهج واحد وأرفض ما سواه، لأنني أكون حينئذ كالقطار الذي يمضي على قضيب السكة الحديد إذا زل هنا أو هناك انكفاً وقتل الركاب"⁽¹⁾. ورفض (هايمن) هذا النوع من التكامل. الذي يخلط كل شيء في قدر واحد. ولكن التكامل المثالي حسب أريه: "الذي نريد أن ننشئ منه طريقة نقدية سامية لا يتم بطرح كل العناصر الجيدة في قدر واحدة وخطها معاً، كيفما اتفق، ولكنه يشبه عمل البناء على أن يتم حسب خطة منظمة ذات أساس أو هيكل مرسوم"⁽²⁾.

هذا التكامل المثالي الذي نريد أن ننشئ منه طريقة نقدية سامية لا يتم بطرح كل العناصر الجيدة في قدر واحدة وخطها معاً، كيفما اتفق، ولكنه يشبه عمل البناء على أن يتم حسب خطة منظمة ذات أساس أو هيكل مرسوم. إذا كان (هيكل) يخشى أن يتصرف في منهج بعينه، لأن ذلك قد يخرج عن مساره ويقدم أحكاماً خاطئة فإن (مرتاض) يرى أن: "تهجين أي منهج أمر ضروري لتكتمل أدواته، وليصبح أقدر على العطاء و الرؤية"⁽³⁾. فالمنهج الشامل والمثالي ينشده كلا الناقلين، وهذا يكشف لنا حقا قصور المنهج الواحد، إلا أن رؤيتهما تختلف فمنهج (مرتاض) الشامل لا يقصد به التكامل المنهجي: "أولى لنا أن نشد منها شمولياً ولا أقول منها تكاملياً"، و يوجه نقداً شديداً لأصحاب هذا التبنّي في قوله: "إذ لم أر أطفه من هذه الرؤية المغالطة التي تزعم أن الناقد يمكن أن يتناول النص الأدبي بمذاهب نقدية مختلفة، في آن واحد، فمثل هذا المنهج مستحيل التطبيق عملياً"⁽⁴⁾ وتعود الاستحالة في تطبيق المناهج لصعوبتها من جهة، وتطبيقها يتطلب تدبير مجلدات لمعالجة نص بعينه من جهة أخرى، وهذا ما يؤكد: "فهل مثل هذا العمل ممكن الحدوث؟

1- جهاد فاضل: أسئلة النقد، ص14.

2- مرشد الزبيدي، اتجاهات نقد الشعر العربي المعاصر في العراق، ص163.

3- عبد الملك مرتاض: التحليل السيميائي للخطاب الشعري، ص21.

4- عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1993، ص10.

(...) فإن مثل هذا السلوك الفكري يشبه الشطحة البهلوانية التي لو طبقت في مجال العمل لأمتت ضحكة هزأة سخرية، إلا ما لا حدود له من المعاني الدالة على الضحك والسخرية والاستهزاء... ولو كان ذلك على كل حال، وهو مستحيل الكينونة على كل حال، أن ندمج عدة مجلدات عن حكاية شعبية واحدة أو قصة واحدة على أساس أننا نعالجها من مستويات منهجية متباينة كل مستوى يهيم في واديه السحيق، إلى أن يرسب في البحر العميق"⁽¹⁾.

يشير الناقد إلى نقطة حساسة وهي كيفية تكامل تلك المناهج رغم تباينها في منطلقاتها وفلسفتها ومرجعياتها فأنى لها أن تعالج نصا في ظل هذا التناقض؟ غير أن ما يستوقفنا في كتاباته رغم سخريته الشديدة من التكامل المنهجي أن جل مؤلفاته التي ط بق فيها المناهج الحدائية عناوينها تصدع بهذا النشاز - على سبيل المثال - كتابه تحليل " سيميائي تفكيكي " لحكاية حمال بغداد. جمع بين منهجين متباينين وهو ما عاتبه عليه الناقد " ثامر فاضل " في قراءته للعنوان حيث يرى في تصنيفه هذا نشاز وجمع لما هو متباين؛ فمنهج لا حياة فيه لمؤلفه ومنهج يفرض هذا المبدع على النص بتعدد القراءة فكيف يمكن تركيبها؟ وعن هذا الجمع يقول: " دراسة (سيميائية ، تفكيكية) الواردة هي عنوان لكتابين يبدو عليه النشاز وعدم التجانس من الوهلة الأولى؛ وذلك لأنّ السيميائية تعني بنظام العلامات، وتهتم بفهم طبقة الدال والمدلول"⁽²⁾ أما التفكيكية ف: " إن جاك دريدا نفسه، وهو زعيم الاتجاه التفكيكي يعلن أن قراءته التفكيكية هي إساءة للقراءة إنها تحاول أن تفرض استراتيجيات الإنسان على النص"⁽³⁾.

يمكننا القول إن ميل (مرتاض) في مقارباته النقدية إلى هذا التركيب، دعوة صريحة إلى تبني قراءة احترافية، و هي " القراءة المركبة المعقدة التي تنهض على جملة الإجراءات التجريبية و الاستطلاعية و الاستنتاجية جميعا"⁽⁴⁾ ، و التي بقدر ما تنهض على التباين

1- المرجع نفسه، ص 10.

2- ثامر فاضل : مقاربات النقاد المعاصرين، كتابات معاصرة، المجلد 1 ع ، 2 آذار 1989، ص 27.

3- المرجع نفسه ، ص 29.

4- عبد الملك مرتاض : في نظرية النقد، دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر، 2002، ص 13.

الفصل الأول: المنهج وإشكاليته في النقد العربي المعاصر

تنهض على التناسق و الترابط، و من هذه الرؤية تمكن من المزوجة بين " التراث البلاغي القديم و معطيات السيميوطيقا الحديثة، و ناهضا في خضم ذلك ومعقما لحوار نقدي ومعرفي بين ما أنجزه التراث البلاغي و اللغوي والنقدي العربي و بين تلك التصورات والآليات الحديثة التي يقدمها النسق المعرفي الغربي"⁽¹⁾.

وليضفي على هذا الخيار صبغة المنهجية العلمية و يربط الحدائي بالتراثي، يرى أنه "من المكابرة الزعم بأن المعاصرين اليوم، وحدهم، هم الذين اهدتوا السبيل إلى إشكالية القراءة السيميائية بكل انجازاتها اللسانياتية و بتعدد حقول تأويلاتها المستكشفة، و التي ليس لآفاقها حدود"⁽²⁾، ف(مرتاض) من الأوائل الذين سعوا إلى التركيب وفق رؤية خاصة، إذ منذ انفتاحه على المناهج الحدائية، وكتاباته تصدع بهذا التركيب، بل أن كل كتبه لا تخلو من هذا التركيب وهو يدافع عن هذا الاختيار" وقد دأبنا في معاملاتنا مع النصوص الأدبية التي تناولتها بالقراءة التحليلية على السعي إلى المزوجة أو الماثلة، أو المربعة، وربما الخامسة بين طائفة من المستويات باصطناع القراءة المركبة التي لا تجتري بإجراء أحادي في تحليل النص، لأن مثل ذلك الإجراءات مهما يكن كاملا دقيقا فلن يبلغ من النص المحلل كل ما فيه"⁽³⁾، لقد اعتنق أكثر من ناقد عربي التكامل المنهجي اعتقادا منهم أن هذه المزوجة أو الماثلة، أو المربعة، بإمكانها إشباع النص بالتحليل وكشف مضامينه والوقوف على جماليته، غير أن اختيارهم هذا، زاد أعمالهم غموضا وتكاد تخلو أعمالهم من كل منهجية فلا وفقوا ولا لفقوا، ويؤيدنا في ذلك قول (محمد الدغم ومي) عن هذه الظاهرة: " أنها إقرار ضمني بأن خطابات النقد والتنظير تشعر بعجزها"⁽⁴⁾، وتبقى إشكالية أخرى زادت من حدة الإشكالية وهي إشكالية المصطلح.

1- قادة عقاق: هاجس التأسيس النقدي لدى عبد الملك مرتاض، بين وعي التراث و طموح الحدائية، ص273.

2- عبد الملك مرتاض: التحليل السيميائي للخطاب الشعري، ص07.

3- المرجع السابق، ص 09.

4- محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، منشورات كلية الآداب، المغرب، ط1، 1999، 326.

3.2. أزمة المصطلح:

شهد المصطلح النقدي العربي الحديث هزة عنيفة بفعل وصول تأثيرات الثورة اللسانية والنقدية التي شهدتها أوروبا خلال الستينيات؛ إذ تدفقت إلى المعجم النقدي الاصطلاحي العربي مئات المصطلحات الجديدة، ويرجع ذلك إلى تعدد المدارس النقدية واختلاف المناهج الفكرية و تباعد التيارات الأدبية و اللغوية وانفتاح النقد عموماً على العلوم الأخرى واستعارته لمصطلحاتها لإغناء منظومته الاصطلاحية، و كذا تمايز مصادر البيئة المعرفية الأولى التي انبجس من خلالها هذا المصطلح أو ذاك، و اللغة الأصلية التي وُضع بها أول مرة، و ما زاد الأوضاع تعقيداً هو غموض واضطراب تلك المصطلحات في البيئة التي اصطنعت فيها، كل هذه العوامل صعبت من عملية الترجمة لأن المصطلح الغربي أنجبه فكر فلسفي غربي له ثوابته و متغيراته، وحين ينتقل من رحم البيئة الأصلية إلى بيئة حاضنة له يحافظ على جميع مورثاته الوراثة و المكتسبة، وحين لا يتمكن المترجم العربي من فهمها تصبح الترجمة تتم "دون وعي عميق بالأصول المعرفية و الفلسفية و الاجتماعية للنظرية المترجمة أو المفهوم المنقول، مما يؤدي إلى فوضى واضحة في ترجمة المصطلحات نتاج عدم الدقة ونتاج عدم الفهم ، و عدم شمولية الرؤية"⁽¹⁾، نضيف إلى ما سبق أن النقد العربي يعتمد في ترجمته على رافدين : ترجمة المغاربة من اللغة الفرنسية من جهة، و اعتماد المشاركة في ترجمتهم على اللغة الإنجليزية من جهة أخرى، وهذا عمق من الإشكالية المصطلحية، و لا نريد بالمصطلح في هذا المقام دلالاته اللغوية ولكن في تجاوزه لهذه الدلالة "اللفظية و المعجمية إلى تأطير تصورات فكرية و تسميتها في إطار معين، و تقوى على تشخيص و ضبط المفاهيم التي تنتجها ممارسة ما في لحظات معينة . و المصطلح بهذا المعنى هو الذي

1- سيد بحراوي: قضايا النقد و الإبداع الأدبي، الشركة الدولية للطباعة ،مدينة6 أكتوبر، مصر، 2003، ص 34.

الفصل الأول: المنهج وإشكاليته في النقد العربي المعاصر

يستطيع الإمساك بالعناصر الموحدة للمفهوم والتمكن من انتظامها في قالب لفظي يمتلك قوة تجميعية وتكشيفية لما قد يبدو مشتتا في التصور " (1).

وإذا أدرجنا المصطلح في إشكالية المنهج فذلك لأن العلاقة بينهما علاقة حميمية ، إذ لا يقوم المنهج إلا على وضوح المصطلح ، لأن الترجمة العشوائية والاعتباطية تجعل الباحث يضل السبيل ومن ورائه يسئ استخدام منهجه لأن: " التحكم في المصطلح هو في النهاية تحكم في المعرفة المراد إيصالها والقدرة على ضبط أنساق هذه المعرفة، والتمكن من إبراز الانسجام القائم بين المنهج والمصطلح، أو على الأقل إبراز العلاقة الموجودة بينهما، ولا شك أن كل إخلال بهذه القدرات من شأنه أن يخل بالقصد المنهجي والمعرفي الذي يرمى إليه مستعمل المصطلح " (2) وللتخفيف من هذه الإشكالية تكاتفت جهود فردية وجماعية لضبط المصطلح النقدي واللساني وضعا وترجمة وتعريبا، وقدم الباحثون خدمات جليلة في هذا المجال وذلك بوضعهم لمعاجم وقواميس أو عن طريق تذييل أعمالهم بمسارد اصطلاحية أغنت الرصيد الاصطلاحي العربي، ونهيب في هذا المقام بجهود نقادنا الجزائريين: (رشيد بن مالك) في قاموسه: (مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص) و (عبد الرحمن الحاج صالح) في معجمه: (المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات) إضافة إلى ذلك جهود (يوسف وغليسي) في كتابه: (إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد) الذي حاول من خلاله رصد المصطلحات المتداولة في النقد العربي وضبط مفهومها ، وفي تعبير له يلخص لنا إشكالية المصطلح بقوله: " إن الكتابات العربية الجديدة قد بلغت من التراكم ما يسمح باتخاذها موضوعا للبحث والدراسة " (3) كما أسهمت المجامع العلمية العربية بجهود خاصة في هذا المجال.

1- أحمد بوحسن : مدخل إلى علم المصطلح، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت العدد(60-61) كانون الثاني، شباط، 1889 ، ص84.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3-يوسف وغليسي:إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم ناشرون(الجزائر، لبنان) ط2008، 1، ص12.

الفصل الأول: المنهج وإشكاليته في النقد العربي المعاصر

وقد أولى (مرتاض) المصطلح اهتماما لا يقل عن اهتمامه الذي أولاه للتأصيل المعرفي و التحديث المنهجي، وذلك من حيث توليده و تأصيله و تبيئه، إيماناً منه أن هذا المصطلح ما هو إلا "صورة مكثفة للعلاقة القائمة بين اللسانيات والنقد، لا سيما المصطلح السيميائي بوجه خاص"⁽¹⁾، و الذي يشكل نواة المنهج و مفتاحه، و لا يستقيم إلا به، من هذا نجده يواجه إشكالية المصطلح، بوعي كبير، وهو يحاول تأصيله وضبطه و مراجعته ضمن خطابه النقدي.

يمكننا القول أن تدفق هذا الكم الاصطلاحي وعدم ضبطه من الناحيتين : الترجيمية و المفهومية، أدى إلى حالة من الاضطراب والفوضى ما زالت آثارها باقية إلى اليوم وتضاعف من إشكالية المنهج النقدي العربي الحديث.

1- مولاي علي بوخاتم: الدرس السيميائي المغاربي (دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض و محمد مفتاح) ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005، ص121.

3. النقد الجزائري الحديث والمعاصر:

1.3. إرهابات النقد الأدبي في الجزائر :

حين يعرض الدارس للنقد الأدبي في الجزائر ، فلا بد أن يثير قضية علاقة الأدب بالنقد، ولا شك أن العلاقة بينهما علاقة جدلية؛ فإذا قلنا إن النقد كان ضعيفا فإن العكس صحيح ، ذلك أنه من الصعب الفصل بينهما ، "ولا نجد تفسيراً للركود الأدبي في الجزائر ، وأسبابه مختلفة ، سوى في هذه الظاهرة الواضحة وهي ضعف الأدب والنقد معا"⁽¹⁾.

ونحن بحاجة إلى نظرة تاريخية للنقد الجزائري حتى ندرك الظروف التي نشأ فيها، ومختلف التيارات والمذاهب التي تأثر بها أو الإيديولوجيات التي اعتنقها الأديب والناقد معا. والواقع أنه مر النقد في الجزائر بمراحل مختلفة متداخلة إلى حد كبير يمكن التمييز بين سمات خاصة بكل مرحلة ، تبدأ من القرن الماضي حتى قيام الحرب العالمية الثانية فالنقد كان لغويا اتضحت فيه العناية باللغة مفردات وتراكيب ، واهتم الأديباء بالوزن والقافية والتقاليد البلاغية المعروفة في الأدب العربي، نجد معركة دينية التي تطورت إلى حوار أدبي ومناقشات أدبية بين (أحمد المجاهد الحسني) و(محمد ابن مصطفى المشرفي) هذه المحاورات لم تتعد الحديث عن النحو والقواعد اللغوية والصرفية و العروضية ، مثلما يلوم (المشرفي) خصمه في أبيات نظمها على بحر مهمل. ومما يدعو للاهتمام أنه لم يُعثر على نقد يشبه ما أثير في العشرينات من القرن الماضي كتناول الوحدة العضوية وربط الشعر بالوجدان مثلما فعل نقاد المشرق العربي⁽²⁾.

إن البيئة الثقافية أثرت على الأديب الجزائري لما كان يعترها من تخلف وجمود وعدم الاهتمام بالنتاج الأدبية والتشجيع للأدباء لأن التشجيع المادي والمعنوي يخلق جوا من الحركية والتنافس بين الأدباء...وبالتالي يكون هناك إنتاج غزير ومزيد من الخلق والإبداع⁽³⁾.

1- عبد الله الركيبي : تطور النثر الجزائري ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، 2009، ص283.

2- ينظر : المرجع نفسه ، ص284-287.

3- عمار بن زايد : النقد الأدبي الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري، الجزائر 1990، ص 54.

الفصل الأول: المنهج وإشكاليته في النقد العربي المعاصر

وفي هذا الصدد يرى (أحمد رضا حوحو) أن السباب التي جعلت الأدباء الجزائريين لا يقبلون على الإبداع أنهم لم يجدوا الصدى لنداءاتهم ولم يجدوا التربة الخصبة لبذورهم ، ولم يكن لهم مطبعة جزائرية بل كانت لهم مطابع أجنبية ، فقد كانوا فقراء في هذا الميدان لا يملكون وسائله⁽¹⁾.

إن هذه الأزمة الأدبية والنقدية كانت خارجة عن إرادة الأديب لكن لها تأثير عليه ، وفي هذا الصدد نقول أن الجزائر ككل البلدان العربية ليست فقيرة في المواهب ، وأبنائها يشعرون بالمسؤولية تجاهها غير أن هذا الضعف قلص من المواهب والإمكانات.

أما النقد الأدبي الجزائري الحديث من المعلوم أن له بدايات متعثرة كانت لها هفواتها، يكاد لا يقع إجماع على أننا لا نجد نقدا ممنهجا قبل سنة 1991، فما كان قبل ذلك لا يعد أن يكون محاولات متناثر في الصحف والمجلات ، مثلها بعض الكتاب من أمثال : رمضان حمود ، والسعيد الزاهري ، والبشير الإبراهيمي ، وابن باديس ... وغيرهم .

ولعل النهضة النقدية بالجزائر بدأت على كتاب (أبي القاسم سعد الله) عنوانه : محمد آل خليفة رائد الشعر الجزائري الحديث ، فباشرت الجزائر نهضتها النقدية ليصبح الجو الفكري مهتما بالنقد الأدبي ضروريا باعتباره الموجه والمرشد الذي يواكب الحركة الأدبية دافعا عجلة الصيرورة والتطور⁽²⁾.

لقد قيل الكثير عن الهفوات التي طبعت المسار النقدي الجزائري الحديث في مختلف مراحل تشكله .. هذه الملاحظات، لا تتوخى التقليل من أهمية ما حققه الخطاب النقدي الأدبي عندنا ، كما أنها لا تتبغى التأثير على الصيرورة النقدية والأدبية الجزائرية بالخصوص⁽³⁾.

1- ينظر : المرجع السابق، ص64.

2- يوسف وغليسي : النقد الجزائري المعاصر من اللاسونية إلى الألسونية، رابطة الإبداع والثقافة، الجزائر 2002، ص09.

3- المرجع نفسه ، ص 10.

2.3. محاولات التأسيس لنقد جزائري:

ظهرت التجارب التأسيسية في الجزائر مع التحولات التاريخية والاجتماعية التي عرفها المجتمع الجزائري منذ الفترة التي تعرف بالنهضة في المشرق العربي إذ وجد الجزائريون أنفسهم أمام المعرفة المشرقية التي كانت قد خطت خطوات إلى الأمام في مجالات مختلفة . وكان على المثقف الجزائري أن يتفاعل مع هذه المعرفة، وأن يخرط في هذه الحركة الجديدة، وأن يبتعد عن النقد القديم الذي خيم على الأذهان فترة طويلة، والذي ظل عبارة عن شروح وحواش وتعليقات نحوية و لغوية على النص الأدبي هذا النقد ذو الملامح القديمة ظل مستمرا يجد من ينتصر له، ولكنه كان يمثل مكانة محدودة، وبعد الاحتكاك المباشر بالمد الثقافي المشرقي وهيمنته على الفكر النقدي الجزائري، إذ كان النقاد يستندون إلى الثقافة المشرقية عن خبرة ووعي، فكانوا يطبقون القواعد والتقاليد بإتقان، وكانوا يعتقدون أن هذا هو السبيل الوحيد لتأسيسي نهضة أدبية عربية صميمة، وإذا ما راجعنا سير كثيرين من نقادنا الجزائريين وجدناهم يتخرجون من الجامعات المشرقية، وتكونت ثقافتهم واتجاهاتهم النقدية.

في خضم الحركة النقدية التي عرفها المشرق العربي، فقد كونت الجامعات المشرقية كافة هؤلاء النقاد المؤسسين ووقعوا تحت تأثيرها، فعلى سبيل المثال فقد تكون فكر سعد الله في ظل هذه المدرسة وطبق المنهج التاريخي في كتابه عن محمد العيد آل خليفة، ودراسات في الأدب الجزائري الحديث الذي قاده فيما بعد إلى الجمع بين الأدب والتاريخ⁽¹⁾ ، والمنهج نفسه طبقه صالح خرفي في كتاباته المختلفة، كما شكلت تلك الجامعات فكر محمد مصايف الذي تأثر بكتابات محمد مندور، والنقد الانطباعي بصفة عامة لذي يجمع بين البعدين الجمالي و الدلالي، ونجد التنظيرات الأولى لهذه الخلفية في كتاباته النقدية (مدرسة الديوان النقدية)، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، وفصول في النقد وغيرها، ولم يقتصر تأثير المشرق العربي على الناقدين السابقين بل شمل أيضا عبد الله الركبي في مجمل كتبه

1- يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من الألسونية إلى الاسنة ، إصدار رابطة إبداع الثقافة

الفصل الأول: المنهج وإشكاليته في النقد العربي المعاصر

الشعر الديني الجزائري، وقضايا عربية، و الأوراس في الشعر العربي، ومبارك جلواح وسواها من الدراسات التي كانت تعتمد على تفسير الأعمال الأدبية من خلال المضمون الشعري . والعلاقات بين الشاعر والبيئة مما أدى إلى المطابقة بين التجربة وبين حياة الشاعر، ولذلك أصبح الشعر عندهم ذا بعدين : بعد ذاتي يعبر عن حياة الشاعر من خلال سيرته التي يراعي فيها التسلسل التاريخي و الظرفي والبعد الموضوعي يعبر فيه عن المتلقي الذي يتلقى الشعر ويتجاوب معه على نحو ما نرى في قوله: " وإذا كنا نلح على التفسير الاجتماعي للأدب، دون إهمال الجوانب الأخرى، فإننا نؤمن بأن الشعر نشاط يعكس ما يجري في بيئة الشاعر .من أحداث ووقائع ومفاهيم"⁽¹⁾.

ويمكن الإشارة في هذا السياق إلى الدور الكبير الذي اضطلع به عبد المالك مرتاض في تطبيق المنهج التاريخي في مؤلفاته النقدية الأولى فنون النثر الأدبي في الجزائر، فن المقامات في الأدب العربي، وكذا نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، لكن سرعان ما ضرب صفحا عن هذا المنهج وعدل عنه إلى غيره من المناهج الحديثة.

وإلى جانب هؤلاء النقاد، ثمة أسماء أخرى أسهمت في التجربة النقدية الحديثة في الجزائر، وتأثروا بالتيارات النقدية العربية ومناهجها كمحمد ناصر في كتابه الأدب الجزائري الحديث الذي حاول فيه أن ينتقل نقله نوعية من المنهج التاريخ إلى المنهج الفني، مما وسع في آفاق النقد الجزائري الحديث واكسبه مرونة خاصة وجعله يطبق النهج الفني. إن ما يجمع بين هذه الدراسات النقدية الأولى على اختلاف تجلياتها المنهجية . هو انطلاقها من التركيز على السياق التاريخي والمحيط الاجتماعي والظروف النفسية والبيئية الخارجية المؤثرة في العمل الأدبي والمحددة لمختلف اتجاهاته وتياراته، والتي تظهر بأشكال متعددة سواء في المواقف والرؤية المعرفية سواء تعلق الأمر بالكاتب أو الظاهرة التي يمثلها.

1- عبد الله الركيبى: الشعر الديني الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ص08

لقد أنجز في هذه المرحلة الشيء الكثير، ورغم الانتقادات الكثيرة التي وجهت إلى هذه الأعمال، لا سيما في مرحلة لاحقة، غير أنه يمكن تسجيل بعض المنجزات الهامة التي أنجزها هذا الجيل.

- 1- جمع النصوص الشعرية والنثرية وتقديمها والتعريف بها.
- 2- تشكيل صور عامة عن فنون وعصور وشخصيات وظواهر.
- 3- حصول تطور ملموس في الوعي النقدي وبأشكال البحث فيه.⁽¹⁾

2.3. عبد المالك مرتاض والتجربة النقدية:

مع بداية الثمانينيات بدأ يتشكل إبدال جديد، ينهض على أساس رؤية مغايرة لدور النقد وطبيعة الأدب، وأخذ يسعى إلى تجاوز البحث في المؤثرات الخارجية للنص، بغية فهمه وتفسيره وتصنيفه وإبراز قيمته الجمالية، وذلك بتركيزه على ما يعبر عنه النص⁽²⁾. وما يحمله من قيم معرفية، وينادي بالاهتمام بالنص في ذاته بغض النظر عن خلفيته التاريخية، وصارت تبعا لذلك مقوله: (النص ولا شيء غير النص) يتمثل ذلك في هيمنة مرجعية جديدة ترتعن بصورة خاصة في أعمال عبد المالك مرتاض، و تحضر من خلال هذا الإبدال مصطلحات جديدة مثل الخطاب والنص، البنية الوحدة، العوامل، الوظائف، الراوي بدل الكاتب. وبدأت تظهر تنويعات جديدة تتجلى في الحديث عن التناص، والبنوية، والتلقي والتأويل، والسياق، والكاتب وما شاكل هذه المصطلحات التي بدأت تهيمن على الدراسات النقدية الجزائرية الحديثة "وفي ضوء هذا التصور الجديد دخل عبد المالك مرتاض عالم المناهج النقدية الحديثة التي تهب النص كينونته اللغوية المستقلة متحججا بأحدث المفاهيم الألسنية"⁽³⁾.

1- علي خذري: تحديث النقد الجزائري، حوليات الآداب واللغات، ع2، ديسمبر 2013، ص 107-109.

2- المرجع نفسه، ص110.

3- يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من اللأصونية إلي الألسنية، ص29

الفصل الأول: المنهج وإشكاليته في النقد العربي المعاصر

وفي فترة وجيزة نقل النقد القديم من المنهج التاريخي إلى المنهج الحديث الذي يتناول النص، وتحققت فعالية هذه النقلة في ظروف قصيرة و بوتيرة متسارعة، وعرفت تحولا لم يعرفه النقد من قبل وكان ذلك من خلال ترهين العديد من الدراسات التي نعتبرها تشكل مرحلة التجريب لهذه المناهج الحديثة، ويمكن التمثيل لذلك بالدراسات التالية:

الألغاز الشعبية الجزائرية، الأمثال الشعبية، النص الأدبي من أين ؟ إلى أين ؟ بنية الخطاب الشعري عناصر التراث الشعبي في اللاز ، الأمثال الزراعية.

بهذه الروح العلمية طبق عبد المالك مرتاض المناهج الحديثة متجاوزا في ذلك المناهج التقليدية القديمة داعيا إلى ضرورة " الانصباب على النص وحده والاحتكام إلى العلم وحده، باعتبار أن الكاتب تنتهي مهمته الإبداعية بمجرد الانتهاء من العملية الإبداعية، فالاهتمام ينصب على عمله لا عليه "(1).

من خلال هذه الصيرورة نلاحظ فعلا أننا، أمام مسار متحول، فمن المبدع إلى النص، ومنه إلى السياق ومن البنية إلى الوظيفة، وهكذا نجد أنفسنا أمام مراحل تطويرية مختلفة قوامها التحول المنهجي، وتبعا لهذا التطور في المسار النقدي تحققت تراكمات كمية ونوعية من الأعمال التي أنجزها عبد المالك مرتاض وأثبت بها حضوره في هذه المرحلة ، فكان بمثابة الناقد الحصيف الذي ينظر إلى ماجد في مسرح النقد نظرة المتمرس فقد دعا إلى تجديد مناهج النقد العربي وأسهم في بلورة اتجاه نقدي عربي هدفه قراءة الأدب العربي قديمه وحديثه قراءة خلاقة يحاور فيها الناقد القارئ النصوص متعاطفا ومندehشا و مشاركا في إنتاج دلالتها متجاوزا الأحكام القيمة التي عصفت بالنقد العربي ردحا من الزمن ، وهو إذ يدعو إلى ذلك كما يبدو لا يقاطع المناهج التراثية ، بل كان من القارئ لها و المشتغلين بهمومها، لكن ينظر إليها بعين حدائية مستعينا في ذلك بمفاهيم نقدية معاصرة لفهم الظواهر اللغوية والأسلوبية.(2)

1- عبد المالك مرتاض: الألغاز الشعبية الجزائرية ، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر 1982 ، ص7

2- علي خذري : تحديث النقد الجزائري، حوليات الآداب واللغات، ص111.

الفصل الثاني:

المنهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

تمهيد

1- المنهج التاريخي:

1-1- المنهج التاريخي في الجزائر

1-2- المنهج التاريخي وملاحظه عند مرتاض

2- المنهج النفسي:

1-2- المنهج النفسي في كتابات عبد الملك مرتاض

2-2- المنهج التحليل النفسي في أعمال مرتاض

3- المنهج الاجتماعي

1-3- المنهج الاجتماعي في النقد الجزائري

2-3- المنهج الاجتماعي عند مرتاض

خلاصة

تمهيد:

شكّل ظهور الرومانسية في الأدب الأوروبي تحولا لافتا في المشهد النقدي ، حيث بدأ يتحرر من أغلال الكلاسيكية، ويرسم طريقا له بعيدا عن تلك الأحكام المعيارية، حيث جاءت أفكارها تجسيدا لبلوغ الفكر الغربي مرحلة متقدمة من الوعي التاريخي، الذي تبلور معه وعي الإنسان بالزمن ، وتغيّر تصوّره للتاريخ الذي كان ينظر إلى الحاضر انهيارا و انتكاسا، وتجلّت معه فكرة التسلسل و التطور والارتقاء، ف "هي التي بدأت التوجه إلى التمثيل المنتظم للتاريخ ، باعتباره حلقة من التطور الدائم ، يتمّ فيها تصوّر الأدب باعتباره تعبيرا عن الفرد والمجتمع"⁽¹⁾.

إن هذا المسار الجديد للنقد الذي اعتبر الأدب انعكاسا لتجربة فرد داخل مجتمعه يتأثر به ويؤثر فيه؛ أدى إلى ظهور تيارات فكرية سخّرت جهودها في دراسة هذه العلاقة، فاغتدى السياق " من أقوى أفكار القرن التاسع عشر تأسّلا وأعظمها تأثيرات، والمقصود بها هو أن الشيء لا يمكن أن يفهم منعزلا، وإنما يفهم فقط بدراسة أسبابه ونتائجه وعلاقاته المتبادلة"⁽²⁾ فجاءت المناهج السياقية التاريخية والاجتماعية والنفسية " لدراسة الأدب والفن بتبيين العلاقة بين المبدع ومجتمعه وتاريخه وظروفه النفسية"⁽³⁾، فاستلهم النقد الأدوات الإجرائية لهذه العلوم بعد انفتاحه عليها في مكاشفته للنصوص الإبداعية، وبعّد المنهج التاريخي أول هذه المناهج.

1- صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997، ص28.

2- جيروم ستولننتز ، عن مرشد الزبيدي :اتجاهات نقد الشعر العربي في العراق، عن ص120.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

1- المنهج التاريخي : أول منهج نقدي في العصر الحديث ويجسد التطور الأساسي

الحاصل في الفكر الإنساني عموماً والغربي خصوصاً، وانتقال هذا الفكر "من العصور الظلامية التي عاشتها أوروبا في ظل سيطرة الكنيسة إلى العصر الحديث بفضل تلك النهضة التي شهدتها"⁽¹⁾، وهو المنهج الذي يصار فيه إلى دراسة الأديب وأدبه أو الشاعر وشعره من خلال تقصي سيرته ومعرفة البيئة التي عاش فيها ومدى تأثيرها في نتاجه الأدبي أو الشعري؛ أي أن الأحداث التاريخية وشخصية الأديب وبيئته يمكن لها أن تكون هنا عوامل مساعدة على تحليل النص الأدبي وتفسيره، وتعدّ هذه المؤثرات الخارجية : "التربة التي ، ينمو فوقها الأديب وينضج فيها الأديب"⁽²⁾،

يلجأ الناقد إلى هذا المنهج في تفسير كثير من الظواهر الغامضة في الأثر الأدبي وتعليلها، فيخضع ما لا يجد له تفسيراً في حاضره إلى ما يراه مناسباً في ماضيه لأن هذا الأثر كان نتاج مؤثرات في عصره، هذه المؤثرات تمكّن الناقد من استجلاء كوامن وغوامض هذا الأثر، دون الاهتمام كثيراً بالمستويات الدلالية الأخرى التي يكشف عنها ودراسة مدى تأثيره على القارئ ، وبتهميشه للقيم الجمالية والفنية والمعمارية والإيقاعية للنص ، صيره إلى وثيقة لتأكيد صحة المقولات التاريخية، وهنا تتجلى لنا الإشكالية التي وقع فيها المنهج التاريخي والتي عبّر عنها (جيروم ستولنيتز) عندما أشار إلى أن استخدام العمل الفني وثيقة تاريخية كأنه دستور أو مذكرة سياسية ليس خطأ إذ كان اهتمامنا منصبا على علم الاجتماع، غير أنه يكون خطأ فادحاً إذا حاولنا أن نفهم العمل جمالياً"⁽³⁾ .

أما في أدبنا العربي فجزور هذا المنهج تعود إلى (عبد القاهر الجرجاني) و(ابن سلام) وغيرهما ممن توصلوا بحسبهم السليم إلى أثر البيئة البادية أو الحضرية في شعر العرب. ويظهر ذلك الأثر في خشونة و جفاف شعر البادية ، بعكس شعر الحضر الذي غلبت على سيمائه

1- صلاح فضل:مناهج النقد المعاصر،ص26.

2- سعد ظلام: مناهج البحث الأدبي(دراسة تحليلية تطبيقية)،مكتبة نهضة الشرق،القاهرة،ط1996،ص22-23.

3- ينظر: مرشد الزبيدي:اتجاهات نقد الشعر المعاصر في العراق،ص27.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

الرقعة واللين، فأحسنوا بذلك توظيف هذا المنهج ، وحدثنا استخدم الدارسون هذا المنهج في دراسة الأدب العربي في العصور التاريخية، رابطين بينه وبين العصور السياسية التي مرت بالأمة منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث.

وتجاوزوا ذلك إلى الأديب نفسه فعمدوا إلى تطبيق المنهج على شخصيات أدبية وتتبعها واستقصاء مظاهر حياتها العقلية والمادية والأخلاقية، هذا المنهج انكبّ على دراسته في الأدب العربي غير واحد ، ولعلّ أشهرهم (سيد قطب) الأديب الناقد في كتاب له يشغل فيه بالنقد حيث حدّد مهام هذا المنهج في:

1- تفسير الظاهرة الأدبية بالعودة إلى التاريخ.

2 - معالجتها على أنها نتاج محدد في الزمان والمكان.

3-التعامل معها على أنها تصوير للبيئة، فيبحث عن مدى ما أخذت الطبيعة الفنية منها،

ومدى ما وهبته، ثم إدراك مدى تفاعل المحيط مع كل لون ونتاج.

4- توثيق الظاهرة الأدبية، مع تجنب الأحكام الجازمة والاستقراء الناقص⁽¹⁾.

وقد نبهت القراءة التاريخية إلى أهمية استدعاء السياقات الخارجية واستيعابها للكشف عن الرسالة النصية، ما أدى بها إلى الإسراف في المطابقة بين الأدب والبيئة وغضت الطرف عن الجوانب الجمالية للنصوص، حتى وصل الأمر بأنصار المنهج إلى حدّ الإسراف والمغالاة في الجمع بين البيئة والأدب، إذ جعلوا من هذا الأخير بمثابة " ظل " ينساق وراء ركب " البيئة " ، وفي ظل ازدهار الدراسات الاجتماعية، تأثر المنهج التاريخي بأفكارها ووسّع من دائرة اهتمامه وبتجلى لنا هذا التأثير في انتقال الدراسات التاريخية من أدب الذاكرة الرسمية إلى أدب الذاكرة غير الرسمية، فكثيرا ما توجه الأديب في إبداعه إلى وصف الملوك والساسة وبلاطهم، ومعه توجه النقد التاريخي للكشف عن هذه المظاهر واستقراءها ، إلا أن المنهج الاجتماعي جعله يلتفت إلى شريحة هامة من المجتمع الذين أسقطتهم الذاكرة التاريخية الرسمية⁽²⁾ وهم أولئك

1- سيد قطب:النقد الأدبي أصوله ومناهجه،دار الشروق،القاهرة ،بيروت ،ط5، ص150 وما بعدها.

2- صلاح فضل:مناهج النقد المعاصر،ص37.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

المبدعين المعارضين الذين عبروا في فترات زمنية مختلفة و بصدق عن حال " الطبقات المهمشة" في المجتمع.

كما تداخل المنهج التاريخي بالفني والذي يرى فيه (سيد قطب) حتمية حيث يقول " هذا المنهج لا يستقل بنفسه، فلا بد فيه من قسط من المنهج الفني.فالتذوق والحكم ودراسة الخصائص الفنية ضرورية في كل مرحلة من مراحلها"⁽¹⁾.

1-3- المنهج التاريخي في الجزائر:

لقد هيأت الظروف التي مرّت بها الجزائر البيئة المثالية لتبني نقادنا لهذا المنهج، خصوصا مع تنامي نشوة النصر الذي حققته ثورة نوفمبر المجيدة ، حيث أضحت الضرورة ملحة والرغبة شديدة في دراسة المدونات الأدبية عبر العصور القديمة، والترجمة للكتاب السابقين،لتحقيق الذات من جهة أو ثبات وجود أدب جزائري مستقل بشخصيته متشبث رغم تلك الفترات المؤلمة التي ألمّت به بخصوصيته العربية من جهة أخرى؛ ما جعل كل أعمال فترة ستينيات القرن الماضي لا تبرح دائرة إحياء الذات وتحقيقها وتمجيدها.

أما عن الفترة التي ظهر فيها هذا المنهج فيحددها (يوسف و غليسي): " يمكن القول بأن النقد التاريخي هو البوابة المنهجية الأولى التي فتح الخطاب النقدي الجزائري عينه عليها، ابتداء من مطلع الستينيات من هذا القرن"⁽²⁾، وتحديدًا كان ذلك مع كتاب الدكتور أبو القاسم سعد الله "محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث"⁽³⁾ ، وإن كانت ملامح المنهج التاريخي -في تصوري- قد سبقت هذا التاريخ خصوصا في أعمال (رمضان حمود) في العقود الأربعة الأولى من القرن الماضي حيث: "انصف الخطاب النقدي الجزائري في هذه المرحلة بتأثره العميق ببعض المناهج النقدية الجديدة ، والتي كانت سائدة آنذاك، وطاغية على

1- سيد قطب: النقد الأدبي وأصوله، ص165.

2- يوسف و غليسي: النقد الجزائري المعاصر (من اللانسونية إلى الألسنية)، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، 2002، ص22.

3- صدر الكتاب بهذا العنوان سنة 1961 عن دار المعارف المصرية.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

الكتابة النقدية في المشرق العربي" (1) وهذا ما يؤكد أيضا (عمار بن زايد) : "أهم المناهج النقدية التي أخذت عنها جلّ الكتابات النقدية في هذه المرحلة، فهي المنهج التاريخي، والمنهج التأثري، والمنهج الفني" (2) ومن قراءتنا لجملة من الأعمال الصادرة في تلك الفترة يمكننا تحديد بعض ملامح هذا المنهج في: التصنيف، التأصيل ورصد خطوط تطور الأدب بمختلف أجناسه.

والمنتبع لمسار نقدنا يكتشف أن لا وجود لمنهج تاريخي صرف، فكل الأعمال ركبت بين المنهج التاريخي والاجتماعي والفني والتأثري وذلك لتحقيق النظرة الشمولية في تحليل النصوص الأدبية، وركزت جهودها حول الأشكال النثرية بشتى أطيافها بشكل خاص، إيماناً منها أن هذه الأجناس أرضاً خصيبة لتجسيد مقولات المنهج التاريخية، ويعدّ (عبد الملك مرتاض) من رواد هذا المنهج في بداية مساره النقدي، فكيف تعامل معه؟ وما هي ملامح هذا المنهج في كتاباته؟

1-4- المنهج التاريخي عند مرتاض:

طرق (عبد الملك مرتاض) باب النقد سنة 1967م، وهي السنة الثانية لنظام سياسي جديد عرفته الجزائر، تبنى في خطابه فكرة إقامة نهضة جزائرية حديثة، تقوم على استعادة الذات و مجدها الضائع، فأيقظت الحس القومي والنزعة العربية في نفوس الجزائريين وتمكّن الأدب من استيعاب ذلك الخطاب، فكانت أمانة منهجية في كل الأعمال التي صدرت في هذه المرحلة، كما ساهم المنهج التاريخي بقسط كبير في تحقيق تلك الرغبة، و كتابات (مرتاض) في هذه المرحلة لا تكاد تتأى بنفسها عن هذا الاتجاه، سواء على مستوى المضامين أو المنهج، هذا الأخير سنحاول تسليط الضياء عليه من خلال مجموعة من أعمال (مرتاض):

1-4-1 القصة في الأدب العربي القديم : تضاربت آراء الباحثين حول وجود القصة في

التراث بين النفي القاطع و الاعتراف الخجل، والإثبات القوي، ولقد تزعم (طه حسين) تيار

1- شريط أحمد شريط:مباحث في الأدب الجزائري المعاصر،مؤسسة الشروق للنشر والطبع،الجزائر،ط2001،ص06.

2- عمار بن زايد: النقد الأدبي الحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ط1985،ص117وما بعدها.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

المنكرين ، في كتابه: (في الشعر الجاهلي)، وشاطره الفكرة نفسها(محمد غنيمي هلال) في قوله: " لم يكن للقصة قبل العصر الحديث عندنا شأن يذكر، بل لها مفهوم خاص لم ينهض بها ، ولم يجعلها ذات رسالة اجتماعية إنسانية ، ولا بد أنه كانت للعرب حكايات يلتهمون بها ويسمرون ، ولو أننا عددنا مثل هذه الحكايات قصصا لكانت القصة أقدم صورة للأدب في العالم"⁽¹⁾ ، ولقد أقحم(مرتاض) نفسه في أول كتاب له: " القصة في الأدب العربي القديم" داخل هذا الصراع وتبنى موقفا أثبت فيه وجود القصة في الأدب العربي، وقاد أنصاره إلى تأصيل العقل والوجدان، وجاء كتابه كردّ على المستشرق (أرست رينان) الذي شكك في وجود جنس القصة في الأدب العربي، و يرجع إنكار المستشرقين لوجود القصة في الأدب العربي إلى أنهم وضعوا نصب أعينهم القصة الغربية في صياغتها وإطارها المرسوم لها فاتخذوا منها نموذجا و مقياسا وميزانا، هذا النموذج الغربي يتوقّر على قسط كبير من الخيال ودرجة من التمدّن و سمو في العقلية، ويتجلى لنا في هذا النموذج احتقار المستشرقين للإنسان العربي والاستخفاف به، ولعلّ البيئة العربية الجذباء منعت وجود هذا الجنس لأن مناظرها لا توقّر للقصص إلا حيزا ضيقا من الخيال وهو الذي ربما دفع بـ " أحمد غنيمي هلال وأحمد أمين" إلى إنكار وجود القصة في التراث العربي، ولا نشك إطلاقا في سمو عقلية الإنسان العربي رغم بداوته، ولا يختلف (مرتاض) مع بعض الباحثين من حيث المبدأ في عدم وجود قصة ناضجة مكتملة في تراثنا، وإنما يقصد تلك القصة التي يعرفها: " لست هنا أريد بالقصة المشتملة على العناصر الفنية المصطلح عليها حديثا بين النقاد من مختلف الآداب الإنسانية الراقية ؛ من زمان ومكان وحوادث وحبكة وحركة وحوار وعقدة، ولكن أقصد هذه الأقصوصة أو القصة البسيطة التي انبنت على الواقع طورا ، وعلى الخيال طورا ثانيا، وعلى الواقع الممزوج بالخيال طورا ثالثا"⁽²⁾ .

1- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر و التوزيع، القاهرة، (دط)، 1997، ص491-492.

2- عبد الملك مرتاض: القصة في الأدب العربي القديم، مكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والتوزيع والنشر، الجزائر، ط1، 1998، ص19.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

هذا الرّد جعل (مرتاض) يدشن مسيرته النقدية بالعودة إلى التراث، حيث أتاح له ذلك استجلاء روعته وجماله، فأقام عليه بعد ذلك مشروعه النقدي، وصار سمة منهجية لازمت كتاباته لأزيد من أربعة عقود.

أما عن منهجه الذي ابتغاه في دراسته فيقول عنه: " إن موضوع هذا الكتاب جديد، وجدّته تأتي إليه من أن أحدا لم يتناوله على هذا النحو الدراسي المفصل من قبل، ولعل جدّته تأتي إليه أيضا من أن بعض المستشرقين زعموا أن العربية لم تعرف القصة في خلال أطوار آدابها، كما لم تعرف الفلسفة الحقّة في خلال أطوار تفكير أهلها"⁽¹⁾ هذه اللمحة المقتضبة التي قدّمها تكشف لنا عن ركيزتين أساسيتين يقوم عليهما هذا المنهج:

أ- **هاجس الريادة** : هو هاجس يمتلك الناقد وبصاحبه في كل أعماله، ويتجلى لنا في كتابه من خلال تأكّيده مرتين على جدّة الموضوع وذلك بقوله: " إن موضوع هذا الكتاب جديد، وجدّته تأتي إليه من أن أحدا لم يتناوله على هذا النحو الدراسي المفصل من قبل"⁽²⁾، ثم عاد يكرر ذلك " والفكرة جديدة والموضوع بكر، لم يسبقنا أحد إليه- فيما نعلم- على هذا النحو وهذا المنها"⁽³⁾. إن موضوع القصة ليس جديدا في المشهد النقدي العربي، وقد دارت معارك أدبية حوله فقد تناوله أكثر من دارس لعلّ أشهرهم: (طه حسين) و(أحمد أمين) و(الزيات) ... غير أن الجديد الذي أتى به الناقد يكمن في طريقة تناوله لها وذلك بالتفصيل وإشباعها بالدراسة وجعلها جنسا أدبيا تاما، وعن ذلك يقول (حبيب مونسي): "وتلك ريادة من حيث الطريقة يعلّ لها صاحبها بالدرس المفصل الذي يستقصي ألوانها، ويستقيها من مضانها، ويقدمها في توطئة تاريخية وفنية، تمكنها من استكمال شروط قيامها حسيا تاما مكتمل الأدبية"⁽⁴⁾.

ب- **إثبات الشاهد النموذجي** لدحض افتراءات رينان، ولتحقيق هذه الريادة من جهة ورد مزاعم (رينان)، بوّب الناقد بحثه إلى ثلاثة أبواب:

1- عبد الملك مرتاض: القصة في الأدب العربي القديم، ص 05.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه، ص 11.

4- حبيب مونسي: فعل القراءة النشأة والتحول، ص 19.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

- *الباب الأول: صنف القصة إلى: القصة العاطفية-القصة الشعرية - القصة الرومانتيكية -
*الباب الثاني: ألوان من القصص: أحاديث الجاحظ- أحاديث ابن دريد- القصة الفكاهية -
القصة الاجتماعية.

*الباب الثالث: القصة الفلسفية : رسالة الغفران- قصة حي بن يقظان لابن طفيل.

لم ينأى الناقد من حيث الإجراء عن الكتابات الصادرة في تلك الفترة ، والتي لجأ فيها أصحابها إلى التصنيف والتبويب ثم التحليل ، وهذه الإجراءات قد أشار إليها (عبد الله الركيبي) في حديثه عن ملامح المنهج التاريخي في هذه الفترة بقوله : "أن من سمات المنهج التاريخي في هذه المرحلة هي العناية بالجمع والتصنيف والتبويب والتحليل ورصد الأشكال والتيارات الأدبية"⁽¹⁾. وأثناء تحليله لهذه النصوص لم يتمكن الناقد التغلب على انطباعيته واندفع إليها و كادت تحيد به عن المسار الذي أراده من هذه الدراسة وعنها يقول: " وكدت أمضي إلى غير إياب فهي إلى الغرض الذي كنت أنوي افتراضه والذي كاد عني يذهب ومني يضيع"⁽²⁾ ، ومن ذلك تحليله لقصة: "نعم" لـ"عمر بن أبي ربيعة" حيث يقول عنها : " لن نترك قصة " نعم" تمرّ حتى نتناول مبنى شعرها ، وحتى نقول في ذلك القول الذي يبيّن رأينا وبزريح عنها كثيرا من الغموض الذي يخيم على الأشياء قبل تناولها، وأسارع إلى تعجيل الحكم ، والنفس مولعة بحب العاجل كما يقول جرير ، فأزعم أن مبناهم ممتع الأسلوب ، سلس العبارات ، رائع الموسيقى..."⁽³⁾ ، ومن الأحكام الانطباعية التي كان يصدرها والتي جرّها إليها جمال اللغة جرا : "من هذه الأجراس المتلاحقة، ومن هذه القافية الرقيقة، ومن هذا البحر الراقص، ومن هذا الإطار الداخلي المحكم البناء، ومن هذه الجمل المعترضة التي تضيف على الشعر شعرا معنويا آخر لا يدركه إلا الذين يتذوقون الآداب"⁽⁴⁾ ، وعن يائبة " جميل بثينة" يقول: " أي قصيدة أشد

1- عبد الله الركيبي ، الشعر... في زمن الحرية، (دراسات أدبية نقدية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 19.

2- عبد الملك مرتاض: القصة في الأدب العربي القديم، ص29.

3- عبد الملك مرتاض: القصة في الأدب العربي القديم، ص83.

4- نفسه، ص 83.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

تعبيرا عن حالة الحزن من هذه التي رويت لك؟ بل أي شعر يمكن أن يكون أحزن من هذا في لغة الضاد وفي كل لغة؟ إنك لتق أ ره وأنت تشعر بالدموع تنفجر هتانة من كل لفظ وتتساقط غزيرة من كل لفظ"⁽¹⁾ ، وكان أحيانا ينشئ نسا إبداعيا موازيا كما صنع مع معلقة (امرؤ القيس) : " و ربّ بيضاء عجباء مقصورة في خذرها ، لا يرام خباؤها ، تمتعت بها تمتع الوادع المطمئن الآمن ، ولا تحسبني وهبتها فاتهبتهأ ، أو منحتها فرضيتها ، بل قاسيت في ذلك من الأهوال أصنافا"⁽²⁾ ، وعن أحاديث ابن دريد يقول: "أي حديث أعذب وأسلس وأسهل من هذه القصة القصيرة"⁽³⁾ ، غير أن الناقد لا يكشف لنا المعايير التي يعتمدها لقياس قوة الأسلوب وجماله، كما لا يوضح مقياس حسن التصوير وصدق العاطفة، بل استحالت تلك العبارات لديه أحكاما جاهزة يحيلنا بها مباشرة إلى النقاد التقليديين الذين كانوا يحكمون بمقاييس سلاسة اللفظ وأحكام التركيب وغيرها من العبارات الجاهزة المكررة. و العلم لا يقبل أن تكون هذه: " النشوة الذاتية هي وحدها مقياس الحكم الجمالي الجوهرى"⁽⁴⁾.

إن هذه الأحكام الانطباعية التي كان يصدرها الناقد وهو يتناول القصة بالدراسة جعل الناقد(يوسف وغليسي) يسقط هذا الكتاب من دائرة المنهج التاريخي ويدفع به إلى الانطباعية ، ويحكم على(مرتاض) بأنه استهل : "مشواره النقدي، منذ بداية الستينيات ، ناقدا انطباعيا (وان لم يصدع بذلك)، وكان كتابه (القصة في الأدب العربي القديم) وشيء من كتابه (نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر) حصادا مبكرا وسريعا لهذا الاستهلال"⁽⁵⁾، ولعلنا نختلف مع(يوسف وغليسي) في هذا الحكم لأن:

* الانطباعية حالة شعورية وجدانية نابعة عن تأثرنا بما نقرأ ، وقد ظهرت في كتابات كبار النقاد وفي شتى أنواع المناهج التي اشتغلوا بها، كما أن إخفاء تلك الانطباعات التي

1- نفسه ، ص103.

2- نفسه ، ص132.

3- نفسه، ص165.

4- جورج ساننيا : الإحساس بالجمال، ترجمة محمد مصطفى بدوي، القاهرة، ص08.

5- يوسف وغليسي: الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، رابطة إبداع الثقافية، 2002، ص 33.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

يخلفها النص، واعتماد العلمية في الأعمال الأدبية يجعل من اللغة الإبداعية لغة ميتة، و هو ما يذهب إليه (أناتول فرانس) الذي يرى أن : " الناقد الجيد هو الذي يحكي مغامرات فكره عبر الأعمال الخالدة"⁽¹⁾.

* إن منظري المنهج التاريخي على شاكلة (غستاف لانسون) لا تخلو أعمالهم من هذه الانطباعية، هذا الأخير ظلّ مع انتمائه التاريخي الواضح مؤمنا بأن " الانطباعية هي المنهج الوحيد الذي يمكننا من الإحساس بقوة المؤلفات وجمالها شريطة استخدامها بحذر شديد "⁽²⁾ ، والى ذلك يذهب كل من (سانت بيف) و (لوماتير) وغيرهم، فالانطباعية التي كان (مرتاض) يصدرها من حين إلى آخر فهي التي نقبلها ونستفيد منها، والذي جره إليها جرا جمال تلك القصص ولم يعتدّ بها منهجا، وهو ما جعله يمضي " إلى غير إياب فهيا إلى الغرض الذي كنت أنوي افتراضه والذي كاد عني يذهب ومني يضيع"⁽³⁾ ، ويكفينا قول مرتاض أنه لم يكن يقصد الانطباعية منهجا في راسته.

* (مرتاض) من الباحثين الذين يرفضون تطبيق المناهج الغربية دون إضفاء للذوق العربي عليها .

* إن الغاية من وراء هذه الدراسة هي الرد على (رينان) الذي نفى عن العرب جنس القصة و الذي يحقّق له ذلك الغرض هو المنهج التاريخي، الذي يوقّر للناقد أدوات تمكّنه من إثبات إدعاءه، ولم يكن انطباعيا ولكنه " غالى في التفاؤل فأعطى للمقامة ولرسالة الغفران أكثر مما يستحقان من الخصائص الفنية ليثبت أن القصة ثابتة في الأدب العربي القديم"⁽⁴⁾. وتعدّ (رسالة الغفران) و (قصة حي بن يقظان) لابن طفيل من الألوان التي اعترف بها (غنيمي هلال) ولو على استحياء كجنس من أجناس القصة: " وحسبنا أن نوجز القول هنا في

1- انريك اندرسون إمبرت: مناهج النقد الأدبي، ترجمة الطاهر أحمد مكي، مكتبة الآداب، 1991، ص 207.

2- غستاف لانسون عن :وعد العسكري : المنهج الانطباعي النشأة التاريخية للانطباعية ، الحوار المتمدن، العدد 2022.

3- عبد الملك مرتاض: القصة في الأدب العربي القديم، ص 29.

4- خالد أحمد أبو جندي: الجانب الفني في القصة القرآنية، ص 40.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

عيون الأدب العربي التي تمت بصلة للقصة في فنها وغرضها وهي قسمان: مترجم دخيل ، وعربي أصيل ، ونذكر من النوع الأول : كليلة ودمنة ، ثم ألف ليلة وليلة ، ومن النوع الثاني: المقامات ورسالة الغفران، وحي بن يقظان⁽¹⁾. مما يجعلنا نؤيد وندعم موقف (مرتاض) بوجود القصة بشكلها البسيط في أدبنا العربي ، ومن الباحثين الذين شاركوا ناقدا الفكرة (خالد أحمد أبو جندي) وأطرى في مدحه خاصة في طريقة تناوله لأحاديث الجاحظ حيث يقول: " ولقد عالج هذا الموضوع هذا الموضوع أساتذة أكفاء، وأعطوها حقها من النصف والعدل ناقشها الأستاذ عبد الملك مرتاض في كتابه القصة في الأدب العربي القديم... وأجاد في الاستدلال على وجودها من خلال بخلاء الجاحظ"⁽²⁾، ويمكننا أن نضيف على (الجندي) أن مرتاض أثبت بما لا يدع أي مجال للشك وجود القصة ، ودحض افتراءات الباحثين العرب قبل دحضه لافتراءات رينان بعدما نقّب (مرتاض) في الأدب العربي القديم ، ارتأى أن يعيد الجهد نفسه مع التراث الجزائري ليثبت مرة أخرى وجود أدب جزائري يمتلك من الخصائص ما يؤهله لأن يكون حقا ابنا شرعيا لأدبنا العربي وكان أول عهد له بهذا الأدب كتابه : "تهضة الأدب العربي المعاصر".

1-4-2 - نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925-1954) : هذه الفترة سبقه

إليها بالدراسة (عبد الله الركيبي) في كتابه (القصة الجزائرية القصيرة) من 1928 إلى 1962 وتعد دراسة (الركيبي) أول دراسة أكاديمية ، جامعية تعالج موضوع تأسيس الخطاب السردى، وتطوره في الأدب الجزائري الحديث⁽³⁾ ، أما عن تخصيصه لهذه الفترة دون سواها فلها أسبابها، حيث كان يربط البعض بداية النهضة في الجزائر بسنة 1925 ، أما سنة 1954، فهي سنة اندلاع الثورة المباركة، وفي هذا الكتاب بدأ مرتاض يتمثل المنهج التاريخي بشيء من الوعي من جهة واحترام للصرامة المنهجية التي تفرضها الدراسات الأكاديمية من جهة أخرى ،

1- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص493-494.

2- خالد أحمد أبو جندي: الجانب الفني في القصة القرآنية، ص40.

3- شريط أحمد شريط: مباحث في الأدب الجزائري المعاصر، منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين، ط2001، ص1،

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

ومع تحديده للفترة الزمنية يحقق لنا قطبا من ثلاثية (تين) ألا وهو العصر، وقد كانت الدراسات الأكاديمية تفرض على الباحث ذلك وهو ما يؤكد في تعريفه لمنهج بحثه: " وإنما تناولت عصرا محددًا، وعهدا معينًا، إذ كانت المنهجية العلمية تفرض علينا بعض ذلك فرضاً" (1).

إن الفترة الزمنية التي تناولها الكاتب بالدراسة فترة مميزة من تاريخ الجزائر فقد مرّ على الوجود الفرنسي قرن من الزمن، كما عرفت الفترة وهو الأهم بزوغ فكر تحرري جديد، وراحت جذوة الحس الوطني تتقدّم مما أشعل فتيل صراع بين ثلاث تيارات فكرية؛ وجد الفكر الوطني نفسه في مواجهة الفكر الراديكالي من جهة والفكر الطرقي من جهة أخرى، ولقد شكّلت المقاومة السياسية النواة الأولى لهذا الفكر التحرري، حيث بدأت الأحزاب تنشط بشكل لافت، ومعها انتعشت الكتابة الصحفية، ولعبت جمعية العلماء المسلمين دورا هاما بعد عودة دوريتها "البصائر" للصدور، وساهم " أحمد رضا حوحو" برجوعه إلى أرض الوطن وتأسيسه لجريدة " الشعلة"، في بعث النهضة الأدبية في الجزائر حيث: " يعدّ الأديب أحمد رضا حوحو، أديب هذه المرحلة وناقدها دون منازع، سواء من حيث غزارة الإنتاج الإبداعي وتنوعه (...). أو من حيث الكتابة النقدية" (2)، كما كان لشيوخ الجمعية الفضل في تنشيطها وللصحافة الفضل في نشرها بين الناس؛ ولعلّ ذلك ما جعل النقاد والباحثون يقبلون على هذه الفترة بالدراسة باعتبارها البداية الفعلية للنهضة في الجزائر، وان كان (مرتاض) يرى أن النهضة سبقت ذلك بكثير مع العلامة "عبد الحميد بن باديس" و"مبارك الميلي".

مرة أخرى يظهر هاجس الريادة لديه بقوله: " فإن بعض المسائل لم يكتب حولها أحد على نحو ما كتبت أنا في هذا البحث كالصراع بين العربية والفرنسية وكالمراكز الثقافية بالجزائر قبل الثورة، وهذا مما اهتدينا إليه بفضل المعاصرة، لا بفضل استيحاءه من مصدر خاص سبقنا

1- عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 13.

2- شريط أحمد شريط: مباحث في الأدب الجزائري المعاصر، ص 09.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

إلى إثارة ذلك " (1) ، ومن أهم القضايا التي تناولها، النهضة في تمفصلاتها الأربعة الفكرية والأدبية والصحافية والتاريخية، ولما كان هذا البحث قريبا إلى التاريخ منه إلى الأدب والخوض في الفكر الجزائري المعاصر على مستوياته الأربع التاريخ الإصلاح، الصحافة، الأدب يستشعر الناقد خروجه عن الإطار الأدبي الخالص فيقول: " فليكن هذا البحث من أجل البحث عن الحقائق التاريخية بما فيها الأدب المنثور، والصحافة، والصراع الفكري بين الجزائريين والفرنسيين المستعمرين والمحاولات التي كتبت عن تاريخنا" (2)، لقد أغنانا بذلك عن الخوض في تفاصيل الكتاب، الذي كان يميل فيه إلى سرد حقائق تاريخية ساهمت في بعث النهضة في مختلف مستوياتها ، وليتأتى له ذلك قسم كتابه ثلاثة أقسام :

القسم الأول: بحث في الشؤون الفكرية والإصلاحية للأمة.

القسم الثاني: الحركة الأدبية " الصحافة-المقالة-القصة."

القسم الثالث: حركة التأليف في الجزائر.

وكل قسم قسمه إلى فصول مراعى فيها " جانب الوحدات الموضوعية الداخلية، والتنسيق في الملائمة والمؤاخاة بين المواد التي تشكل هذا البحث" (3).

في هذه الدراسة ترجمة للنظريات الحديثة في ربط الأدب بالحياة، حيث خصص الناقد في دراسته جزءاً للعصر ؛ إذ أشار إلى الظروف التي أحاطت بالأدب الجزائري في هذه الفترة ، حيث صور لنا الصراع بين اللغة الفرنسية والعربية ومدى تأثيره على المواطن الجزائري وآيتنا في ذلك قوله: "وحتى أولئك الذين كنت تجدهم في المدن الجزائرية، يتحدثون إليك بالفرنسية، حين يدعوهم داعي الاضطرار، أو داعي الاختيار" (4) ، و " إن الجزائر كانت مستقلة من

1- عبد الملك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر ، ص 09.

2- المرجع نفسه ، ص 10.

3- المرجع نفسه ، ص 04.

4- عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ط 1 ، ص 29.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

الناحية الاجتماعية ، عن الاستعمار الفرنسي استقلالا يكاد يكون تاما ، ولا نكاد نستثني من ذلك إلا بعض المدن التي كانت تكتظ بالأوروبيين⁽¹⁾،

كما تطرق إلى دور المراكز الثقافية ؛ ونعتبر هذه أحد المؤثرات التي كانت سببا مباشرا في بعث النهضة الأدبية في الجزائر ، كما ركز الناقد على الشخصيات التي فعلت النهضة في الجزائر من أمثال: (ابن باديس) و(رضا حوحو) و(عبد الرحمن الجيلالي) و(مبارك الميللي) وهو في ذلك يتجه إلى الأفكار التي طرحها (سانت بيف) وهو أستاذ (هيتين) حيث اهتم بدراسة الشخصيات وعصورها دون الاهتمام بالنص ذاته حيث يسقط شخصية الأديب على أعماله لأنه " كما تكون الشجرة يكون ثمرها "⁽²⁾، وأن النص أو هذه الثمرة ما هي إلا " تعبير فردي"⁽³⁾ ، غير أن (مرتاض) يختلف في تناوله لهذه الشخصيات عن (سانت بيف) و عن (طه حسين) الذي درس شخصية (المعري) إذ توقّف عند هذه بدراسة إنتاجها الأدبي وتحقيقه، دون التحقيق في الشخصية ذاتها أو ربط علاقة بينها وبين إنتاجها؛ حيث كان يبحث فيما كانت تشترك فيه : " وهو المعول عليه في استخلاص القانون العلمي الأدبي"⁽⁴⁾، و يصحّ الأخطاء اللغوية التي ازدلف إليها بعضهم ويقوم أساليبهم، ومن الأخطاء اللغوية تلك التي وقع فيها (حوحو) حين يقول : " أنا الذي قضيت ثلاثين حجة" والوجه الفصيح الذي يصطنعه الفحول على حدّ تعبير (مرتاض) : " أنا الذي قضى ثلاثين حجة"، و يعتبر(مرتاض)أسلوب (الإبراهيمي) من أروع الأساليب ، ومن أمثلة ذلك قوله عن إحدى المقامات لـ (الإبراهيمي) وما استشهدنا به يدل على صدق في العاطفة، وحرارة في التعبير، ودقة في التصوير، وروعة في استثارة النفس ونقلها من حالة سرور إلى حالة أسي"⁽⁵⁾.

1- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط3 ، 2010 ، ص17.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- كارلو نالينو: تطور النقد الأدبي في العصر الحديث، دار المعارف ، القاهرة، ط2، 1970، ص 39.

5- عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص128..

الفصل الثاني: المنهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

أما منهجه في الدراسة فاستعمل ما اصطلح عليه بـ "المنهج الروائي" و يقصد به مشافهة أولئك الذين عايشوا تلك الفترة والذين تتوفر فيهم شروط الصدق والنزاهة، و تعدّ المشافهة إجراء يلجأ إليه المؤرخون في جمع المعلومات، في ظل انعدام الوثائق المكتوبة، ويعرّف لنا الناقد هذا المنهج الذي اصطنعه: " لقد كنت أكتب هذا الكتاب وكأني أستمد من ماض بعيد، واستقي من مصادر يسيطر عليها المجهول أكثر من المعلوم، ولذلك وجدنتي مضطرا إلى اصطناع المنهج الروائي في كثير من المواقف العلمية قبل الإقدام على تقدير رأي أو إصدار حكم والحق أن الدراسات الجزائرية لا يزال من طبيعة المنهج البحث فيها، التعويل على الرواية والاتصال بالأشخاص من الذين لهم اهتمامات أدبية وثقافية وتاريخية معروفة في الجزائر، ممن امتد بهم العمر المبارك، حتى عاصروا عهد الاستقلال، بعد أن كانوا عايشوا فترة الظلام، التي سبقت قيام ثورة التحرير"⁽¹⁾.

يطرح الناقد قضية هامة في المنهج التاريخي وهي غياب المصادر، وتعدّ من أصعب الإشكالات التي تعيق عمل هذا المنهج، وأسباب غيابها في أدبنا الجزائري يقف وراءها الاستعمار الفرنسي الذي أجهد نفسه في طمس كل ماله صلة بالهوية الوطنية، لذا لجأ مضطرا إلى " المشافهة" ولهذه المشافهة شروط برأي المؤرخين أولها أن تكون من المصادر التي لا يطالها الشك في سردهم للوقائع والأحداث، غير أن (مرتاض) في كتابه لا يشير إلى مصدر الفكرة: "غير أنني ربما أهملت أحيانا الإشارة إلى مصدر الفكرة مجتزئا بما أثبت في آخر البحث من مصادر"⁽²⁾؛ وعاتب (الميلي) عن هذا الصنيع بقوله: " فقد رأينا أن الميلي ذكر نصين اثنين لمؤرخين أجنيين (...). دون ذكر لكتابيهما، ولا إشارة إلى أرقام الصفحات التي نقل منها (...). وفي هذا العمل ما فيه من عدم الاكتراث بالمنهجية العلمية"⁽³⁾، وهذا يعتبر من الأخطاء المنهجية ومن التناقضات التي يقع فيها الناقد من حين إلى آخر.

1- المرجع نفسه، ص 06.

2- المرجع السابق، ص 09

3- المرجع نفسه، ص 192.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

ما يثير انتباه القارئ لأعمال (مرتاض) أنه لا يعتمد على كتابات معاصريه من النقاد ، وكما أسلفنا كانت دراسات قيمة أبصرت النور قبل كتابه بزمن يسير وأقصد بذلك كتابات (عبد الله الركبي)، التي لم نعثر عليها في مكتبة بحثه؛ وإنما أشرنا إلى ذلك لأن طبيعة المنهج التاريخي تفرض ذلك على الناقد التخلّص من الذاتية أولاً ولتكون الأحكام الصادرة أكثر موضوعية، إلا أنه في طبعة ثانية للكتاب، عاد وأكد وجودها وهي ميزة من مزايا الناقد حيث يمتلك الجرأة ويسرد الحقيقة والتي امتدحه بها عديد النقاد ؛ حيث يقول أحدهم، لما كشف (مرتاض) عن تسرعه وعدم تفكيره الطويل في دراسة مقامات السيوطي: " وهذا اعتراف جري وندر في آن واحد من هذا الناقد، يكشف فيه للقارئ بصدق عمّ تمّ من الخطوات السابقة للدراسة"⁽¹⁾ ، وعن السبب وراء إهمال تلك الدراسات ت يؤكد على أنها: " لم تكن ظهرت إلى تلك السنة أي دراسة أدبية مفصلة ظهرت على نحو ما ، جادة في منهجها وأحكامها ، و كل ما في الأمر أن الغيورين على الأدب الجزائري، ممن كانوا حديثي عهد بالتخرج من الجامعات العربية على اختلاف أقطارها حاولوا (...) القيام بدراسات عالجت بعض القضايا الأدبية (...) لكن ظلوا في الغالب يجترئون بنشرها في صورة مقالات أو فصول متقطعة في بعض المجالات الجزائرية"⁽²⁾ من أبرز القضايا التي يثيرها الناقد في كتابه هي قضية:

*الكتابات الدينية التي ذاع صيتها خلال الفترة التي تناولها بالدراسة والتي حملت مشعلها "جمعية العلماء المسلمين"، حيث رفض عدد من الدارسين إدراجها تحت مظلة الدراسات الأدبية، لأن الأدب عندهم شعر ونثر وفلسفة ومذاهب ونظريات، وأن زعماء الإصلاح في الجزائر كما يقول الناقد: " أنهم قصروا حياتهم على الدين، ووقفوا أمرهم على التربية، وعنوا دهرهم بالتوجيه والإصلاح"⁽³⁾ ، فأسقطوا من دائرة الأدباء.

1- خالد بن محمد الجديع: الدراسات السردية الجديدة ، قراءة المقامات أنموذجاً، جامعة الملك سعود، السعودية، 2007، ص 45.

2- عبد الملك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ط2، ص05.

3- نفسه، ص04.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

*دور المراكز والنوادي الثقافية في نهضة الأدب في الجزائر: حيث كان لـ "نادي الترقى" الذي كان مركزا للخطباء والشعراء يلقون فيه ما جادت به قرائحهم ، ومن بين خطبائها " الطيب العقبي، الإبراهيمي، ابن باديس، العربي التبسي" ومن الشعراء " سعيد الزاهري، الهادي السنوسي" وغيرهم، ولمدينتي قسنطينة وتلمسان في هذه النهضة دور محوري، كما خصّص فصلا لـ:

*خطب العلامة "عبد الحميد بن باديس" حيث حلّ خطبته: " أما بعد فسلام عليكم ..يا أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أجمعين ، وسلام على مساجنكم في المساجين ، وسلام على متهميكم في المتهمين، وسلام على منكوبيكم في المنكوبين، سجون واتهامات ونكبات. ثلاث لا تبنى الحياة إلا عليها.... فاسمع وتعجب يا عصر المدينة والنور"⁽¹⁾، وتحليله كشف من خلاله تضمينها لطريقة خطابة أمير المؤمنين"علي بن أبي طالب" - رضي الله عنه- .كما لم تخلو أحكامه عن انطباعيته بأسلوبه المميز: " ونحن لم نجد في أدبنا المعاصر إطلاقا لا خطبة أحر لهجة، ولا أجمل طريقة ، ولا أشرف غاية ، ولا أبلغ تعبيرا ، من هذه الخطبة لابن باديس"⁽²⁾.

*محمد البشير الإبراهيمي(1889-1965): يرى الناقد أن (الإبراهيمي) لم يكن أدبيا إلا في(سجع الكهان)، والتي هي عبارة عن أحاديث كان ينشرها في جريدة " البصائر"، ويعتبرها (مرتاض) مقامات صريحة شاء صاحبها أن لا يقدمها بالشكل المعروف للمقامة، بل سعى إلى التجديد فيها وفي هذا يقول: "بل قدمها إليهم في صورة جديدة عليهم حين اختار لها من العناوين ما اختار، وان كان سجع الكهان مما كان يدور في بعض الكتب الأدبية القديمة"⁽³⁾.
و هذا مظهر من مظاهر التجديد في الأدب الجزائري ، أما من الناحية الأسلوبية فهي أحاديث مسجوعة ، لا تخلو من الألفاظ الغريبة أحيانا وان لم تكن غريبة عن المتذللين في اللغة ، وإنما أراد الإبراهيمي أن يغيظ بذلك الصنيع معاصريه، وهنا يحكم الناقد على هذه

1- نفسه، ص56.

2- المرجع السابق، ص 61.

3- نفسه، ص 121.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

المقامات بأن ظاهرها: "محاكاة الكهان، ومنافسة أصحاب المقامات ، وفي مقدمتهم البديع والحريري" (1) ، وباطنها " معارضة القرآن ، وما نحسب أن أسلوب سجع الكهان يختلف كثيرا عن القرآن " (2) ، وبنفس الطريقة يعالج الناقد مقالات الإبراهيمي السياسية.

*ليتعرض بالدراسة لـ (أحمد رضا حوحو) والذي يعدّ رائد النهضة في الجزائر: " فلما جاء حوحو أبدع ولم يقلد ، وجدد ولم يحافظ ، وتحرر ولم يحنن إلى ما غبر من المذاهب الأدبية ، أو قدم من العهود الزمنية. فما عجب إذا رأيتَه يتجه نحو القصة فيعالجها ، لأنها أحد الفنون التي تنصب على النفوس الإنسانية فتتقدها حتى تهذبها (...) وتتصرف إلى العادات الاجتماعية الشريرة فتتقم منها وتطعن فيها ، حتى تقوم ما فيها من أود، وتصلح ما ألم منها من اعوجاج " (3).

أما كتابه (مع حمار الحكيم) فالناقد يرى أن فكرة الكتاب مستوحاة من كتاب " توفيق الحكيم" وليست مبتكرة إلا أنها تتسم بالعمق لأن الكاتب أراد من حمارة تبليغ رسائل متعددة يساقطه الحديث حول سائر الاجتماعية والسياسية التي كانت الجزائر، يومئذ تضطرب فيها كل مضطرب" (4) ، لينتظر بعد ذلك إلى دور الصحافة في بعث النهضة الأدبية و ينصفها قائلا : " ومن الإنصاف أن نذهب إلى أن كل صحيفة من الصحف التي أتينا على ذكرها، والتي لم نتمكن من ذكرها ، كان لها فضل عظيم على قيام النهضة وترعرعها. ولكن هذا لا يمنعنا من أن نذهب مع ذلك على أن الشهاب والبصائر يجب أن تكونا أساسا لهذه الفنية ، بل سراجا وهاجا ينير أرجاءها ، ويلقي على مجاهلها أسطع الأضواء" (5).

*أسلوب البصائر: لم يكن الإبراهيمي متساهلا مع كُتَّاب البصائر ؛ فقد كان يغيرهم بالتجويد في الأسلوب و يزجي بهم أن يرتفعوا إلى المستوى العالي ، وللبصائر أسلوبان: أعلى

1- نفسه ، ص 123.

2- نفسه ، ص 123.

3- نفسه ، ص 148.

4- المرجع السابق، ص 150

5- نفسه ، ص 113.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

وهو معرض العربية الراقية ، وهو نمط إعجاب أدياء الشرق بهذه الجريدة. وأدنى وهو مضطرب يعلو وينزل (1).

*ليخصص بابا كاملا للنهضة التاريخية خصصه لـ"مبارك بن محمد الميلي ، أحمد توفيق المدني، عبد الرحمن الجيلالي".

لكن في الطبعة الثانية للكتاب استدرك ذلك الخلل المنهجي- الذي أشرنا إليه -فيكشف صعوبة المرحلة التي تناولها لقلة المصادر بقوله: " التفكير في تدبيح دراسة أدبية وثقافية جادة عن النهضة الأدبية في تلك الفترة المبكرة من عهد الاستقلال شيئا لعله أشبه ما يكون بالمغامرة العلمية" (2) ؛ وعن تلك السطحية في التعامل مع النصوص يقول: " هذه الدراسة اعتبرها ثقافية تفيد القارئ العادي وحتى الجامعي غير المتخصص في الدراسات الجزائرية" (3).

*إذا كان مرتاض في كتابه القصة في الأدب العربي القديم يرد على المستشرق " رينان" فإن كتابه هذا جاء ليرد على أولئك الذين زعموا أن لا وجود لأدب جزائري قبل الاستقلال، فكأنما المنهج الذي اعتمده يقوم بوظيفتين أساسيتين، الأولى: إثبات وجود أدب جزائري في هذه الفترة ، والثانية : الكشف عن حقائق تاريخية تتعلق بالنهضة الجزائرية، وقد انزلق الناقد في كتابه مما حذر منه (علي جواد الطاهر) من تداخل النقد الأدبي مع التاريخ، حين قال عن المنهج التاريخي بأنه: "منهج حساس إذا فقد فيه صاحبه توازنه زلّت به قدمه .. وصار مؤرخا" (4) ، ولم يتبن (مرتاض) الخيط الذي يربط بين النقد الأدبي والتاريخ الأدبي، وجعل كتابه تاريخيا تثقيفيا. حقيقة لم يوفق الناقد في توظيف المنهج التاريخي توظيفا مناسباً ، إذ جاء الكتاب سردا لحقائق تاريخية ، وقد يكون الغرض من وراء تأليفه وهو إثبات وجود أدب جزائري في هذه الفترة ما حجب عن ذلك، وهو ما يفصح عنه بقوله: " كان يجب علي أن أعيد النظر في كل ما ورد في الكتاب ، فأصحح بعض أخطائه المطبعية، وأعدل عن بعض الأحكام التي

1- ينظر عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب الجزائري المعاصر، ص90-105

2- عبد الملك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ط2، ص05.

3- نفسه ، ص 06.

4- علي جواد الطاهر :مقدمة في النقد الأدبي، بغداد، 1983، ص398.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

قد لا تخلو من مبالغة أو غموض أو اضطراب أو ضعف (...) وأغبر المنهج العام الذي لم يعد يرضيني⁽¹⁾ ، وإذا ما قارنا هذه الدراسة بالدراسات الصادرة في تلك الفترة ، نجد أن هذه الأخيرة كانت أرقى في تعاملها مع المنهج. ويعدّ كل من: (أبي القاسم سعد الله) و (عبد الله الركيبي) و(صالح خرفي)⁽²⁾ من رواد المنهج التاريخي في الجزائر خلال هذه الفترة ، حيث تناولوا بالدراسة كل الأجناس الأدبية؛ لأنها تترجم بصدق في أغلب الأحيان الواقع الذي كان يعيشه الأديب، وان ركّزت على الشعر؛ لأن الشعر كما يصفه (عبد الله الركيبي): " نشاط إنساني يعكس ما يجري في بيئة الشاعر من أحداث ووقائع ومفاهيم"³ هذا التعريف المختصر للشعر ؛ يحمل كل أسس المنهج التاريخي ، وفيه تتجسد ثلاثية (تين) : البيئة ، العصر، العرق. ومن بين الكتابات الرائدة التي اهتمت بالشعر:

* (أبو القاسم سعد الله) وكتابه (محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر

الحديث) وهو أيضا رسالة ماجستير تقدّم بها إلى جامعة القاهرة سنة 1961.

* (عبد الله الركيبي) وكتابه (دراسات في الشعر العربي الحديث) الصادر سنة 1961.

و أما من حيث تعاملهم مع المنهج ، فقد وجدنا صيغة لـ (عبد الله الركيبي) تتم عن بلوغه درجة عالية من النضج المنهجي ، وكفاءة فائقة في استخدامه حين يصفه بالقول: " فاخترت المنهج الذي يجمع بين النقد والتاريخ ، فالتاريخ هنا ليس مقصودا لذاته، وإنما لبيان خط تطور القصة ومسارها العام، وكيف تطورت؟

وما هي الأشكال التي ظهرت فيها؟ لأن الأدب يتطور بحياة الإنسان ، والتاريخ يساعد على تحديد مراحل هذا التطور ، أما المنهج النقدي ، فهو الاعتماد على النص، وما يصوره من تجربة إنسانية ، ويعبر عن مضمون وواقع معاش"⁽⁴⁾.

1- عبد الملك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ط2، ص05.

2- ركزنا على النقاد الثلاثة؛ لأن دراساتهم التاريخية سبقت أعمال عبد الملك مرتاض.

3- عبد الله الركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث: ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 08.

4- عبد الله الركيبي: القصة الجزائرية القصيرة، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس، ط3، 1977، ص06.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

أما (صالح خرفي) فعن منهجه يقول: " والرسالة وهي تدرس نهضة متكاملة الانبعاث متداخلة الجهود، متنوعة الوسائل-ارتأت أن تنهج في بحثها منحى متكامل انعكاسا للفترة، والبيئة المدروسين ، والنهضات في بدايتها لا تساعد على تمييز الجبهات تمييزا واضحا بحيث يمكن التركيز على زاوية معينة"⁽¹⁾ .

يشير (صالح خرفي) ضمنا في قوله إلى قضية منهجية هامة ، توصل إليها (مرتاض) في آخر المطاف وهي " اللامنهج " ، حيث رفض الإقبال على النص بمنهج معين ، وجعل النص هو من يحدد للناقد منهج د ا رسته، وهذا التصدير لمنهجه جعل الناقد (شريط أحمد شريط) عاجزا عن إيجاد تفسير له بقوله: " والسؤال الذي يفرض نفسه هنا ، ما المنهج الذي يسعى الدكتور: خرفي إلى توضيح عناصره؟"⁽²⁾

أما عن هذه الأعمال التي ظهرت في هذه الفترة فإنها تشترك في صفات معينة :

- تعاملت بالمنهج التاريخي تأثرا بالمدرسة المصرية، حيث درس أصحابها في جامعة القاهرة في الفترة التي ساد فيها هذا المنهج على المشهد النقدي وظهر بشكل كبير في أعمال (طه حسين) و(محمد مندور) وغيرهما.

- ركزت على فترة زمنية محددة تمتد من أواخر القرن التاسع عشر إلى بداية الثورة.

- اهتمامها بشعر وشعراء المقاومة، لما تركته الثورة الجزائرية من صدى في نفوسهم.

أما إذا عدنا إلى متون هذه الدراسات فقد بدا جليا إهمالها للجانب الفني ، حيث لم يأخذ في أحسن الأحوال بضع صفحات ، حيث أنهك الناقد نفسه في رصد التطورات الحاصلة على كل جنس خلال فترة معينة ؛ تقيدا بصرامة المنهج فلم يلتفت إلى ما يحمله النص من جماليات، كما طغت على أعمالهم تلك الأحكام الانطباعية، تأثرا بالمدرسة المصرية حيث كان يجمع النقاد بين المنهجين التاريخي والتأثري ، ومما أفاده هذا المنهج في دراسة الشعر الجزائري الحديث عند (أبي القاسم سعد الله) هو:

1- شريط أحمد شريط: مباحث في الأدب الجزائري المعاصر، ص13،

2- نفسه ، ص ن.

أ- تقسيم الشعر عبر فترات زمنية ، على النحو التالي:

* شعر المنابر : أواخر القرن الماضي.

* شعر الأجراس : 1925- 1936.

* شعر البناء : 1936- 1945.

شعر الهدف : 1945-1954.

شعر الثورة : 1954

ب- ظهرت النزعة الوطنية في أغلب الدواوين الشعرية ، وذلك من أجل محاربة الاستعمار وزيادة الحماسة في صفوف المجاهدين ، كما ظهر الشعر الديني نظرا لوجود جمعية علماء المسلمين .

ج- ساهمت الصحافة في نشر هذه الأشعار ، ونقل ما كان يحدث في المشرق من معارك أدبية ، مما أدى إلى التجديد في الشعر الجزائري .

د- على الرغم من الوضع المأسوي الذي كانت تمر به الجزائر لم يمنع ذلك من وجود شعر عاطفي مرة أخرى وفي دراسة جديدة يعود (مرتاض) إلى تارتا ينبش فيه ، بعد أن أثبت لـ "رينان " وجود القصة في الأدب العربي ، وجد أن فيها جنسا يستحق فعلا منا إثراءه بالدارسة ، وهو فن المقامة .

1-4-3 فن المقامات في الأدب العربي : يكشف لنا هذا الكتاب عن هاجس التأصيل ،

فبعد تأصيله لفن القصة في الأدب العربي القديم ؛ يعود مرة أخرى لتأصيل فن المقامة ، غير أن غاية (مرتاض) التأصيلية في كتابه لم تكن في البحث عن وضع أصول وقواعد لهذا الفن ، بل غايته البحث عن قواعد هذا الفن ، حيث يدرج ناقدنا (مرتاض) هذا الفن في جنس القصة ويكتشف أن من بين مقامات البديع : " يمكن اعتبارهن صالحات للتمثيل المسرحي المحدود كالمضيرية ، والحلوانية ، والقردية ، والجاحظية وغيرها"⁽¹⁾ ، وبذلك فتح الباب لكثير من الدارسين

1- عبد الملك مرتاض: فن المقامات في الأدب العربي ، الدار التونسية للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، تونس ، الجزائر ، 1988 ، ص 489.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

لنتناول المقامات كجنس مسرحي . وبعد عشرين سنة و في أول التحامه بالمنهج السيميائي ، وفي دراسة جديدة للمقامات في كتابه " مقامات السيوطي " ، بدا له أنه كان في ضلال لما جعل المقامة صنفا من أصناف القصة: "ذلك أن التعصب للمقامة إلى حدّ اعتبارها قصة فنية، هو ظلم للقصة وللمقامة معا"⁽¹⁾، ما جعل أحد النقاد الجدد يعلّق على ذلك : "أما مرتاض فقد أعلنها توبة حاسمة حين بدا له، بعد عشرين عاما من قراءته السابقة، أن القول بقصصية المقامات لم يكن في موره، ومكانه الصحيح"⁽²⁾، أما عن المنهج الذي اعتمده يقول : " يعالج فن المقامات بوجه عام من يوم بزوغه إلى يوم أفوله بالإضافة إلى البحث في خصائصه الفنية والخوض فيما اعتوره من تطورات خلال عصور تاريخ الأدب العربي " ⁽³⁾ .

ومن أهم العناصر المنهجية للكتاب : احترامه للتسلسل الزمني لهذه المقامات بدءا من أحاديث الجاحظ وابن دريد ...إلى سجع الكهان للإبراهيمي ، مرورا بمقامات بديع الزمان وغيرها؛ فكشف عن الأسباب التي ساهمت في ميلاد هذا الجنس الأدبي، وصحّح ما علق بتطوره من أخطاء تاريخية ، كما أثبت بعض أحاديث ابن دريد المتخالف في صحتها، ويزداد بعد ذلك هاجس التأصيل توهجا ، ويسلّطه على الأدب الجزائري مرة ثانية ليثبت للمشككين في عروبة الجزائريين عن وجود أدب يحمل من الخصائص الفنية ما يجعله ابنا شرعيا للأدب العربي.

1-4-4 فنون النشر الأدبي في الجزائري من (1931-1954): وهو عبارة عن رسالة

قدمها لنيل شهادة دكتوراه " وهو آخر عهد له مع المناهج السياقية ، فإذا كان في كتابه نهضة الأدب الجزائري سعى إلى إثبات وجود أدب جزائري في فترة معينة من الزمن، فإنه في كتابه هذا ركز على الجانب الفني الذي غفل عنه في الكتابات السابقة، مما جعل أحد النقاد يراه يقوم: "بالجانب الثاني من أدوار النص الوثيقة ، فهو تعميق وحفر في الجانب الفني والجمالي"⁽⁴⁾ ،

1- عبد الملك مرتاض: مقامات السيوطي، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، 1996، ص12.

2- نادر كاظم : المقامات والتلقي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003، ص 386.

3- عبد الملك مرتاض: فن المقامات في الأدب العربي ، ص03.

4- حبيب مونسي: فعل القراءة والتحول ، ص88.

كما تداخل المنهج التاريخي بالفني والذي يرى فيه (سيد قطب) حتمية حيث يقول : " هذا المنهج لا يستقل بنفسه، فلا بد فيه من قسط من المنهج الفني؛ فالتذوق والحكم ودراسة الخصائص الفنية ضرورية في كل مرحلة من مراحلها"⁽¹⁾، فإذا أردنا أن نثبت صحة نسبة أبيات من الشعر إلى (امرئ القيس) و هذه من المسائل التاريخية الجوهرية .وفي ظل غياب أي شواهد تاريخية ، فإننا نلجأ إلى قاعدة من قواعد المنهج الفني؛ نتذوق الشعر الجاهلي أولاً ونقرر خصائصه الشعورية والتعبيرية، ثم نسقط شعر (امرؤ القيس) عليها هذا ما يهديننا إلى معرفة صحة نسبتها أو خطئها "⁽²⁾، وقد لجأ (مرتاض) إلى ذلك في بعض الأحكام وقد دفعه إليها منهجه الذي اعتمده في دراسته : " فكان لا مناص لنا من أن نتبع ذلك المنهج الذي دفعناه إلى اصطناع الرأي الخاص في إقامة كثير من الأحكام"⁽³⁾ ، وقوله أيضاً: " إن جدة الموضوع الذي تناولناه ، جعلتنا أحياناً نصدر في أحكامنا وآرائنا صدورا شخصيا لا تعويل فيه على أي مصدر، أو رأي أيِّ باحث سابق، وقد اتخذنا من مادة النصوص الأدبية مصدرنا في إقامة الأحكام، ومعلونا في تقرير الآراء ، ويتجلى ذلك خاصة في الباب الثالث الذي عقدناه للحديث عن النواحي الفنية"⁽⁴⁾، وعن هذه الأحكام وخشية أن تك ون مرتجلة يقول: " لم تكن عشوائية أو مرتجلة ، وإنما اجتهدنا في أن تكون قائمة على أصول من العلم بهذه الفنون التي درسناها"⁽⁵⁾، كما تبلورت في هذا الكتاب أفكار (غستاف لاتسون) وهو من أكبر رواد هذا المنهج، حيث أصبح ينسب إليه ما يعرف " اللانسونية " وهو من أكثر الأساتذة الذين أثروا في النقد العربي، ومن بين تلاميذته " طه حسين ومحمد مندور"⁽⁶⁾، والذي حدّد العناصر الأساسية في البحث التاريخي وهي:

1- سيد قطب ، النقد الأدبي وأصوله، ص125.

2- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

3- عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1983، ص05.

4- المرجع نفسه، ص07.

5- المرجع نفسه ، ص 07-08.

6- صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص38-39.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

- 1- التوزيع النوعي للأجناس الأدبية خلال مراحل تاريخية مختلفة وذلك برصد النصوص الأدبية نثرية كانت أو شعرية خلال مرحلة معينة وخصائصها ومميزاتها، ثم رصدها في مرحلة تاريخية مختلفة ورصد أهم التغيرات التي طرأت عليها وهلم جرا.
- 2 - تمكنه من دراسة المذاهب الأدبية المختلفة، والمرتبطة بعصور متعددة مثال ذلك: (رصد نشأة الكلاسيكية و تطورها ، و تتبع التغيرات التي طرأت عليها لفترات زمنية معينة) عن التطورات المسيرة لها.

3- تنظيم خرائط العصور المختلفة و الفترات الزمنية ، وكتابة تاريخ الآداب.

4- الاهتمام بدراسات المدونات الأدبية لفترات زمنية طويلة (1).

والكتاب الذي بين أيدينا يكاد يحقق لنا كل العناصر التي حددها (لانسون) حيث تناول فيه كل أنواع ، فنون النثر الأدبي في الجزائر ورصد تطورها من سنة 1931 إلى 1954 . وعن سبب تخصيصه لهذه الفترة بالدراسة يقول: " في الخامس مايو 1931م ، تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، فكان لتأسيسها صدى عظيم في المجتمع الجزائري (...) جعلت وجود الاستعمار الفرنسي بالجزائر في قلق واضطراب... فمهدت لقيام ثورة التحرير"(2). وقد تطلب منه المنهج تقسيم كتابه إلى ثلاثة أبواب:

*الباب الأول : الحياة العامة في الجزائر السياسية، الاجتماعية، الثقافية، الفكرية.

*الباب الثاني : تناول بالدراسة كل فنون النثر الأدبي في الجزائر فن المقالة، الفن

القصصي، القصة الطويلة، الفن المسرحي ، حركة التأليف، الخطابة، المذكرات والسيرة الذاتية، الرسائل.

*الباب الثالث : الخصائص الفنية للنثر الأدبي الحديث في الجزائر.

يكشف لنا هذا التقسيم عن حجم المدونة الضخم ويعدّ ذلك أحد عناصر المنهج التاريخي الذي كانت تفرضه الدراسات الأكاديمية، ويرجع الناقد ذلك إلى المنهج الذي أتاح له أن يغوص

1- ينظر : المرجع السابق ،ص39-41.

2- عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص03.

الفصل الثاني: المنهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

في مثل هذه المدونات الضخمة : " وقد فتح لنا هذا المنهج بابا عريضا دخلنا منه إلى عالم ضخم من النصوص المطبوعة والمخطوطة ، واضطرنا إلى أن نوسع فصوله فنبلغ بها إلى خمسة"(1).

أما عن هذا المنهج فلم يسمه ، إلا أن الأدوات الإجرائية التي استعملها كلها تشي بالمنهج التاريخي حيث ذكر المنهج في ثلاثة مواضع هي: " وقد اقتضى المنهج الذي اتبعناه في هذا البحث أن تكون أبوابه ثلاثة"(2) ، وقوله: " فكان لا مناص لنا من أن نتبع ذلك المنهج الذي دفعناه إلى اصطناع الرأي الخاص في إقامة كثير من الأحكام"(3) ، ويقول: " عدم ظهور أي دراسة متخصصة شاملة تعالج النثر الأدبي بفنونه المختلفة خلال هذه الفترة التي اخترناها"(4) .

ظهر (مرتاض) في دراسته منهجيا مقارنة بالكتابات السابقة، حيث خصص بابا كاملا للبيئة العامة التي كان يعيشها الأديب الجزائري في تلك الفترة لتحقيق البيئة أو الوسط بتعبير (تين)؛ وغايته في ذلك أن يضع القارئ مباشرة في ذلك الجو. أما الباب الثاني فرصد فيه جميع الفنون النثرية : المقالة -الفن القصصي- الفن المسرحي-الخطابة- المذكرات والسيرة الذاتية. والباب الثالث رصد فيه الجوانب الفنية لهذه الفنون، ويتجلى لنا من هذا الإجراء مدى التطور المنهجي الحاصل في كتابات الناقد، ومن الفنون النثرية التي عالجه:

***فن المقالة:** يرصد الناقد نشأة هذا الفن وتطوره واتجاهاته وأعلامه ، حيث يرى أن هذا الفن تطور على يد جماعة من الأدباء منهم: قدور بن عمر، محمود كحول، سعيد الزاهري وساعد في ذلك أسباب منها:

انتشار الصحافة العربية في الجزائر، حب التعبير عن الرأي الذي نشأ عن الوعي الثقافي، الصراع الفكري بين المثقفين، أما عن الاتجاهات التي عرفت:

1-الاتجاه الأدبي: تناولت المقالة قضايا أدبية عامة.

1 - الرجوع السابق ، ص 05.

2- نفسه ، ص ن.

3- نفسه ، ص ن.

4- عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص04.

2-دراسة شخصيات أدبية.

ومن أبرز الذين تناولوا مواضيعها الأدبية: (أحمد بن زياب)، (حمزة بوكوشة)، (عبد الوهاب بن منصور)، (عبد المجيد الشافعي) ، حيث طالبوا بعقد مؤتمر للأدباء الجزائريين بغية بعث نهضة أدبية حقيقية ومن أبرز القضايا الأدبية التي أثاروها هي تحديد وظيفة الأدب والأديب، حيث حدده (رضا حوح) على النحو التالي: " يجد الأديب في الاشتغال بالأدب لذة ، ويجد في تصيّد المعاني الحسان وابتكارها لذة ،ويجد كذلك في إذاعتها بين الناس ، وإيثار إعجابهم ، أو سخطهم متعة "(1) ، يرى(مرتاض) فيما ذهب إليه (حوح) مجرد نظرة ذاتية ،وكأنه يكتب عن نفسه ، ويترجم عما كان يعتلج في صدره، وفي الوقت ذاته ينتصر لـ (ابن زياب) الذي كان أكثر موضوعية في تحديده لوظيفة الأديب إذ يجب أن يكون: "ذا روح قوية...يتسع لآلام شعبه ، أن يكون ذا شعور خصب.. أن يكون ذا ثقافة واسعة تمكنه من إجراء الأحكام الصحيحة، وتمثل الأمور كما هي في حقيقة أمرها"(2).

عموما فإن فن المقالة سعى إلى نهضة أدبية حقيقية في الجزائر تضاهي تلك الموجودة عند المشاركة، إذ كان روادها يعاتبون الأدباء بلهجة شديدة عن ركودهم ويشحذون همهم ويثيرون معارك أدبية أشعلها (ابن منصور) : "ما لأدباء الجزائر لا ينطقون ؟ بل مالهم لا يكتبون ؟.....أم هو ضعف ثقافي يأبى أن يجعل منهم خطباء أو أنصاف خطباء، وكتابا أو أنصاف كتاب؟"(3)، فيرد عليه (حوح) بتهكم وسخرية، في مقالة عنونها: "مالهم لا يثرثرون"(4).

يبدو الناقد من خلال معالجته لفن المقالة أكثر فهما واستيعابا للمنهج التاريخي ، فإذا عقدنا مقارنة بين مؤلفه هذا والمؤلف السابق ، وقفنا على تطور كبير في أدائه المنهجي ،حيث ابتعد عن سرد الحقائق التاريخية، وخفف من حدة الأحكام الانطباعية ، وراح يكشف عن

1- عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص95.

2- المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

3- عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص98 .

4- المرجع نفسه ، ص 99.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

العلاقات بين الأديب وبيئته وعن التفاعل الحاصل بينهما ، وبنفس الإجراء يواصل الناقد معالجة الفنون الأخرى.

أما الجانب الفني للمقالة في هذه الفترة فقد تتبع الخط المنهجي الكلاسيكي "المقدمة ، العرض ، الخاتمة"

2- الفن القصصي: إن ما يثير اهتمامنا ونحن نقرأ للناقد الفن القصصي في الجزائر

توظيفه لمصطلحين: "محاولات قصصية" و" القصة الطويلة" :

***المحاولة القصصية:** يطلق الناقد هذا المصطلح على جميع الأعمال القصصية التي

ظهرت قبل الحرب العالمية الثانية والتي مثلها بامتياز (الزاهري) وبعده (العابد الجلاي) ، دون إعطاء تفسير لذلك ، وآيتنا في ذلك : "وقد أراد الزاهري من وراء كتابة هذه المحاولة القصصية"⁽¹⁾ ، بل أمعن في كتابة هذه المحاولة القصصية"⁽²⁾ ، وعن (عابد الجلاي) يقول: "ثم جاء (محمد العابد الجلاي) الذي كتب هو أيضا مجموعة من المحاولات"⁽³⁾، ثم يستطرد قائلا: " فقد كتب هذا الأديب مجموعة قصصية نشرها بمجلة الشهاب "⁽⁴⁾ ، يمكن اعتبار أربع منها ذات صلة وثيقة بالفن القصصي ، وان لم تبلغ غايتها منه ، أما المحاولات الثلاث الأخرى فهي أدخل في باب الحكايات الخالصة منها في أي شيء آخر"⁽⁵⁾، لقد فاق عدد القصص عدد الحكايات مما يجعلنا نصنفها في دائرة الفن القصصي، غير أن الناقد في موطن آخر وعن هذه القصص يقول: "ونحن نعتبر معظم محاولات هذه المجموعة الجلاية حكايات ، لا قصصا " وهذه من التناقضات التي كان يقع فيها الناقد.

1- المرجع نفسه، ص165

2- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه، ص174.

4- المرجع نفسه، ص166

5- المرجع نفسه، ص167.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

أما مضامين هذه القصص فلا تخر عن طابعها الإصلاحية القائم على الوعظ ومحاربة الطرفين والشعوذة، وقد تخطى الناقد عن هذا المصطلح في الأعمال التي تلت الحرب العالمية الثانية لملاستها للقصة الفنية ولو بشكل بسيط.

من حيث الإجراء المنهجي أعتقد أن (عبد الله ركيبي) كان أكثر وعياً منهجياً في كتابه: "القصة القصيرة في الأدب الجزائري المعاصر" حيث اصطلح على الأعمال الأولى "المقال القصصي" وخصّه بفصل كامل تحدّث فيه عن نشأته وتطوره ومدى اقترابه، أو ابتعاده عن بقية الأجناس الأدبية، وحافظ على هذا المصطلح ومنحه تعريفاً دقيقاً، نفي فيه أن يكون المقال القصصي قصة قصيرة بأي شكل من الأشكال وإنما يمكن اعتباره شكلاً قصصياً يعتمد على بعض عناصر القصة مثل السرد والحوار والحدث⁽¹⁾.

ويقسمه إلى مرحلتين: ما قبل الحرب العالمية الثانية، وما بعدها.

ومن الإشارات القيمة التي نبهنا إليها (عبد الله ركيبي) أن القاص في هذه الفترة كان يكتب "وفي ذهنه المقال، لا القصة." كما توقّف المقال عند قيام الثورة، ولا يكاد (مرتاض) يختلف عما ذهب إليه (ركيبي) من حيث المضامين أو البنية الفنية، إلا أن ناقدنا لم يشأ الاعتراف بمصطلحات (ركيبي) وهو ما يتنافى وأبجديات المنهج التاريخي، الذي يرفض أن تتسلط ذاتية الكاتب في توجيه مسار الأحداث.

مما سبق يمكننا القول أن (مرتاض) يطلق اسم (المحاولات القصصية) على الأعمال الصادرة قبل الحرب العالمية الثانية و القصة الفنية على تلك الصادرة بعدها، أما ركيبي يصطلح (المقال القصصي) حتى على القصة الفنية عند (مرتاض) ويقترح مفهوماً آخر: الصورة القصصية في المرحلة التي نشأ فيها المقال القصصي، وذلك في كتاب "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير" لـ (محمد السعيد الزاهري) وأول صورة قصصية ظهرت خلال المرحلة الأولى، هي صورة "عائشة" التي تصدرت مواد ذلك الكتاب⁽²⁾، ويعد الصورة

1- عبد الله خليفة الركيبي: القصة الجزائرية القصيرة، ص78.

2- عبد الله خليفة الركيبي: القصة الجزائرية القصيرة، ص91.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

القصصية: " البداية الحقيقية للقصة الجزائرية القصيرة، وقد نشأت في نفس الوقت مع المقال القصصي وسارت معه، واستمرت حتى الاستقلال بينما توقف المقال عند قيام الثورة"⁽¹⁾ وقد مرت هي أيضا بمرحلتين أساسيتين:

1-المرحلة الأولى : تنتهي إلى غاية سنة 1947 م، تناولت الموضوعات الإصلاحية

التي عالجه المقال القصصي، ولم تختلف عنه كثيرا من حيث الجانب الفني "سواء في تنوع الأحداث، أم من حيث الشخصيات، وقد اتسمت عموماً بقصر الحجم الذي هو أحد خصائص القصة القصيرة، ويلاحظ عليها ضعف الحوار، فهو لا يناسب شخصياتها الرئيسية. حيث تطغى عليها شخصية المؤلف، خصوصا الثقافية، وينطبق هذا بالخصوص على شخصيات الزاهري، وكذلك بعض شخصيات الجلاي، وهي غالبا ما تنتهي بخاتمة وعظية مباشرة"⁽²⁾.

2-المرحلة الثانية : تبتدئ من عام 1947 م، واستمرت نماذجها في الظهور أثناء

سنوات الحرب التحريرية.

وهي تهدف إلى رسم صورة للطبيعة أو صورة كاريكاتورية لشخصية إنسانية، أو التركيز على فكرة معينة وعناصر القصة تبدو فيها غير مكتملة، فهي تهتم بعنصر القص وبالحدث كما هو لا بتطوره، كما "عني الكتاب برسم شخصياتهم الفنية، كما أولوا عناصر السرد والحوار اهتماما حسنا، وتناولوا قضايا جديدة كحرية المرأة والحب والزواج بالأجنبيات"⁽³⁾ ، وهنا تتداخل (الصورة القصصية) عند الركيبي مع (القصة الفنية) عند(مرتاض).

*القصة الطويلة : يظهر الناقد مرتبكا في تعامله مع(عادة أم القرى) حيث يصفها:

"وهذه الرواية من النوع القصير، إن صح مثل هذا التعبير، ولكنها جاوزت في حجمها مفهوم القصة القصيرة بكثير"⁽⁴⁾، ثم يصطلح عليها "رواية". وتعدّ بذلك أول رواية جزائرية وقد ظهرت

1- المرجع نفسه ، ص 89-90.

2- شريط محمد شريط : تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية (1947-1985) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 1958، ص50.

3- المرجع نفسه ، ص ن.

4- عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص.191

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

حسب ما ذكره أحمد منور في مقدمة الطبعة الثانية من " غادة أم القرى " : " في بداية الأربعينيات، وربما قبل ذلك بالاستناد إلى المقدمة التي كتبها له السيد (أحمد بوشناق المدين) والمؤرخ في 1362/12/21 هـ وهو ما يقابل حسب تقديرينا 20 يناير 1943م⁽¹⁾ ، وقد عدّ الأعرج واسيني " غادة أم القرى " أول عمل روائي مكتوب بالعربية في الجزائر، وأنها ظهرت كتعبير عن تبلور الوعي الجماهيري بالرغم من آفاقها"⁽²⁾ ، وإذا كان نقادنا يتحدثون عن القصة في هذه الفترة ، فإن (رضا حوحو) ينفي ذلك تماما : " مع أن هناك أدبا حيا ذا أثر، فعال في التربية و التوجيه وهو أدب القصة ، فهل لدينا مثله شيء؟ لا شيء طبعا... فمن العبث إذن أن نتكلم عن المذهب الرمزي والواقعي فيه، ومن العبث أن نتكلم عن الفوارق بين القصة والأقصوصة، وأن نتكلم عن الرواية والمسرحية، وأن نبحث عن الملهاة والمأساة"⁽³⁾

1-4-5- الأدب الجزائري القديم (دراسة في الجذور):

بعد ثلاثين سنة تقريبا، أب مرتاض إلى المنهج التاريخي محملا بكمّ معرفي وأدوات إجرائية جديدة أراد تهجين منهجه بها بعد أن أيقن أنه لا وجود لذلك المنهج الذي ظل ينشده، أن يكون منهجيا إلى أبعد حد ممكن ، وبأقصى قدر مستطاع ؛ ولكن دون أن يبلغ الغاية في مسعاه، فكأن نشدان التوفيق في السعي المنهجي شيء لا يحقق"⁽⁴⁾، وهو اجتهاد نقدي لافت ينمّ عن ذكاء في توظيف مكتسبات النقد الحديث في تجديد النظر إلى علاقتنا بأدبنا القديم، أما عن منهجه فركّب بين منهجين أحدهما تاريخي والآخر سيميائي أراد تطبيقه على النصوص القديمة للكشف عن مواطن الجمال فيها.فاتخذ من النص وثيقة وشكلا وقسم كتابه قسمين:

1- أحمد رضا حوحو : غادة أم القرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1988، ص02.

2- الأعرج واسيني : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص18.

3- أحمد رضا حوحو نقلا عن: شريط أحمد شريط،مباحث في الأدب الجزائري المعاصر،ص15.

4- عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم(دراسة في الجذور)، دار هومة، الجزائر، 2005، ص11.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

-القسم الأول: لم يقبل الناقد على هذه الدراسة معتدا بمنهج معين ، بل ترك لطبيعة الموضوع الحق في فرض المنهج الملائم لدراستها وهذا ما كان يدعو له في كتاباته الأخيرة ، فيقول عن منهجه في هذا القسم " كان علينا أن ننتهج منهاجا تاريخيا في القسم الأول"(1)

أما القسم الثاني فكان سيميائيا صرفا حلل فيه قصيدتين الأولى مجهولة المؤلف والثانية ذكر الموت وهو. (بكر بن حماد) ما يميز هذه الدراسة هو تطعيمه للمنهج التاريخي بما أفدته منه المناهج النسقية، حيث أبدى اهتماما بالجانب الفني للنصوص، وهو ما أسقطه من دراسته السابقة أو أشار إليه باقتضاب، ومن الأخطاء المنهجية التي وقع فيها الناقد، هو اختصاره للأدب الجزائري القديم على عهد الدولة الرستمية في حين كان عنوان الدراسة : "الأدب الجزائري القديم " ، فكان حريا أن تكون " الأدب الجزائري في عهد الرستميين "وهذا النوع من الإسقاطات ألفناه في عديد الأعمال ، تتألف المدونة التي أقبل على دراستها من خمسة عشر نصا مقسمة على النحو التالي : اثنا عشر نصا شعريا ، كان لـ : بكر بن حماد منها سبعة نصوص وكان لكل من " سعيد بن واشكل "و"أفلح بن عبد الوهاب "و" ابن الخزار " نصا واحدا، و نسان مجهولا المؤلف، فالخلط في هذه الدراسة يأتي لـ"مرتاض"في حصره للأدب الجزائري القديم على شخص (بكر بن حماد) مما يجعل أحكامه غير قابلة للتعميم.

لقد أخلص في القسم الأول من دراسته لمنهجه حيث رصد حركية الأدب خلال هذه الفترة وظروف نشأته وأسباب ضياعه، و هذه الأسباب تعود إلى: " حرق الشيعة مكتبة تيهرت العظيمة ، أو وقع تحت وطأة النسيان بفعل تغير اديولوجيات الدول في الجزائر؛ وخصوصا التحول الذي وقع من الإباضية إلى العبيدية"(2).

وقام باستقراء أعمال (بكر بن حماد) لأن ذلك ما بلغنا من أدب تلك الفترة التي يشهد لها بثرائها الأدبي وتنوعه وتميزه، أما الفصل الثاني فخصه للشعر أنواعه وتشكيله ودرس الشعر على مستويين:

1- المرجع نفسه، ص13.

2- عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم(دراسة في الجذور)، ص58.

أ-المستوى التضميني: يستعمل مصطلح التضمين عوضا عن المضمون ويقصد به إدراج مضمون سابق، أو إعادة معالجة غرض تقليدي كان الشعراء سبقوا إليه هنا وهناك فكأن الشاعر بإدراجه تحت حكم التضمينية لا يضيف جديدا إلى المضمون¹ إن مصطلح التضمين من منظور مرتاض لا يعدو أن يكون م ردفا للتناص أو السرقات، أو التقليد بشكل أدق، أو الأغراض التي كانت موجودة في الأدب العربي ثم أعاد الرستميون بعثها ومن هذه الأغراض: الوصف- المدح-الزهة-الغزل- الرثاء-الحكمة والتوجيه.

ب-المستوى التشكيلي: شغل هذا المستوى أربع صفحات على الرغم من أن ما نبتغيه من المنهج التاريخي وهو أن يقبض على خصائص جنس أدبي في فترة زمنية معينة، حيث أبرز فيه قدرة شعراء تيهرت ممثلة في(بكر بن حماد) في اللعب باللغة ومعارضتهم للمشاركة لدرجة أن المشاركة أنفسهم " حاروا في التمييز بين بيتي اثنين قيدا في هجو المعتصم بالله : فمن قائل: إنهما لدعبل الخزاعي حقا ؛ ومن قائل: بل إنهما لبكر بن حماد دسهما (علي دعبل) نكاية به "(2) ، 3 فكانت حيرتهم من مستوى الشعرية التي في علوها لامست شعرية (دعبل الخزاعي)، وهذان البيتان قيدا في هجو المعتصم بالله إلا أن الناقد لم يذكرهما .

*أما في مجال النثر فتعرض(مرتاض)إلى فن الخطابة والترسل معتمدا في مدونته على خطبتي جمعة ل(أحمد بن منصور) و رسالة ل (أبو العباس فضل بن نصر التيهرتي) ومما توصل إليه في الخطابة أنها بدأت في عهد الرستميين يقلدان فيهما خطب (علي بن أبي طالب رضي الله عنه) من حيث بنيتها، ومع توسع نفوذ النزعة الخارجية - الإباضية، تحولت إلى خطب (أحمد بن منصور) من الناحية الأسلوبية فلم تختلف عن خطب الجمع والأعياد حيث الاقتباس من القرآن وخطب الرسول صلى الله عليه وسلم ، إن الأحكام التي أصدرها الناقد قابلة لإعادة النظر باعتماده على مدونة لا تتعدى الخمسة عشر نصا بين شعر ونثر ، وان كان عذره في ذلك ضياع أغلب الأدب القديم للأسباب التي ذكرناها، كما

1- المرجع نفسه، ص58.

2- المرجع السابق، ص73.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

لم يخلو هذا المنهج من الانطباعية التي كان يوردها من حين إلى آخر وان كانت بشكل قليل مقارنة بالأعمال السابقة ومن ذلك: "و إن الذي يتابع شعر بكر بن حماد (...) ليعجب أشد العجب كيف استطاع (...) أن يقول الشعر في مستوى شعراء بغداد..."(1).

1-5- ملامح المنهج التاريخي عند مرتاض : من خلال الأعمال التي تعرضنا لها

بالتحليل يمكننا أن نبرز ملامح هذا المنهج عند الناقد:

-الاعتماد على المنهج التاريخي في التأصيل للأدب الجزائري.

-التأصيل للأجناس الأدبية المقتبسة في الأدب العربي ونزع صفة الحقائق المطلقة عن

هذه الأجناس واعتبارها وقائع متطورة ولها أصل انبثقت عنه.

-إحياء التراث العربي وإعادة دراسته دراسة علمية.

-الدراسات التاريخية اقتصرت على جميع أشكال النثر."القصة، المقالة، المسرح،

التأليف، الخطابة، المذكرات، السيرة الذاتية، الرسائل، المقامات"، أما في مجال الشعر فلم

يباشر العملية النقدية باتجاهه ويرجئ ويعلل ذلك بقوله "إن اهتمامي بالدراسات الشعرية

اهتمام ضئيل، وربما يعود ذلك إلى أن طبيعة الدراسات الأولى التي قمت بها في حياتي

العلمية كانت منصبية على النثر، فابتداء من أول كتاب ظهر لي " القصة في الأدب العربي

القديم " إلى دكتوراه الحلقة الثالثة التي دارت حول فن المقامات في الأدب العربي، إلى

دكتوراه الدولة التي قدمتها عن أجناس النثر الأدبي في الجزائر، نجد أن لي اهتمامات لا

علاقة لها بالشعر"(2) ، غير أن دراسته للشعر جاءت بعد انفتاحه على المناهج الحدائثية.

*الدراسات التي قام بها أغلبها دراسات أكاديمية تفرض على الباحث التقيد المطلق

بالمنهج.

*التفصيلات الجزئية في الدراسة.

1- المرجع نفسه ، ص60.

2- جهاد فاضل: أسئلة النقد (حوارات مع النقاد العرب)، الدار العربية للكتاب، ص215.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

*تحديد الفترات الزمنية : خصّ الناقد دراسته بفترات زمنية معينة، وذلك تقيدا بصرامة المنهج من جهة ولطبيعة الدراسات الأكاديمية التي كان يحضر لها، وهو ما يظهر في عناوينه، وقد اتسمت هذه الفترات بالطول وذلك رغبة في الإلمام بالظاهرة الأدبية من كل جوانبها.

*الاعتماد على الوثائق المكتوبة أو المشافهة فهو يستعمل نفس الأدوات التي يستعملها الباحث التاريخي، فكان حقا باحثا تاريخيا أكاديميا وعن مصادر بحثه يقول: " كان معولي في كتابتها على مجموعة من الصحف المتفرقة المتقطعة الأعداد، وعلى مجموعة ضخمة من مجلدات الشهاب، ولم يكن ظهر من الكتب التي أنشأها مختصون جامعيون من الباحثين الجزائريين شيء كثير يذكر"⁽¹⁾ ، بالإضافة إلى اعتماده على المراجع المغمورة، ولنا أن نتصور حجم هذا المجهود الذي بذله.

*تصنيف الدراسات :لقد كان الناقد حريصا في مؤلفاته على التصنيف وهو أساس الدراسة بالمنهج التاريخي و-على سبيل المثال - يقسم القصة إلى مجموعتين:

-مجموعة ما قبل الحرب العالمية الثانية.

-مجموعة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

-التصنيف باعتبار المضامين :اجتماعية، عاطفية، نفسية.

-التصحيح للأخطاء التاريخية : ففي كتابه " فن المقامات " لم يرق فقط باستقراء هذه

المقامات بل صحح ما علق بتطوره من " الأخطاء التاريخية"² وذلك بالاعتماد على ما تحصل من وثائق تاريخية ذات مصداقية مستقاة من أمهات المصادر الأدبية والتاريخية من ذلك ترجيحه لتأثير (المقامة الإبلية) للبديع في رسالة " النواع والزواع " لابن شهيد⁽³⁾ .

1- عبد الملك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1954، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1983، ص06.

² - عبد الملك مرتاض : فن المقامات في الأدب العربي ص03.

3- يوسف وغليسي : الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، ص41.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

- التركيز على المضامين دون الشكل وذلك رغبة منه في إبراز مواقف الكاتب الفكرية، ومن الأسباب التي أدت إلى هذا التوجه: " أن تفاعل الأدب مع واقعنا هو تفاعل إجهاض وليس تفاعل خلق وإبداع"⁽¹⁾، وقد يكون السبب وراء هذا الاختيار، الوضع السائد في الجزائر: حيث كانت تعيش فترة ظلامية، فكان الأدب فيها ايولوجيا- .كان الفن لأجل التحرر -حيث عبّر الأديب في كل مرحلة من هذه المراحل عن الحالة الضنك التي كان يعيشها الجزائريون من ظلم و تهميش و جهل من جهة وعن الإصلاح والانتماء من جهة أخرى، وفي هذا يكون قد تنازل الشكل للمضمون لتولي وظيفة إصلاح المجتمع، واستمرت هذه النظرة إلى الفترة التي نشر فيها الناقد دراسته ولهذا اختار المضامين على الشكل باعتبار أن الإنسان ابن بيئته يؤثر ويتأثر.

*أما عن الإضافات عن هذا المنهج فهو " اهداؤه إلى تقديم الكتاب المشاهير الذين تحدث عنهم من خلال الموضوعات التي كتبوها وصنف قصصهم حسب درجاتها الفنية والتاريخية، ذلك لأنه أقام عمله على منهج ينهض على مراعاة التوثيق من عدة وجوه، تاريخ النشر، المجلة التي نشر فيه العمل القصصي، آثار ونتائج هذا الخبر على الواقعة الأدبية، والاعتماد على المراجع المنسية رغبة في التعريف . بها"⁽²⁾.

-رفضه لمبدأ السبق التاريخي إيماناً منه بأن الجودة الأدبية غير مرتبطة بالسبق الزمني.

-وكبداية متعثرة فقد وقع الناقد في أخطاء منهجية يعترف بها منها اعتماده على مصادر مجهولة".

يلاحظ الباحث المتخصص أن هذا الكتاب تعتوره نقائص كثيرة أو قليلة، لقد كنت أكتب هذا الكتاب وكأني استمد من ماض بعيد، واستقي من مصادر يسيطر عليها

1- محمد عباس "الناقد والمنقود" المجاهد الأسبوعي العدد 530، 1970، ص28.

2- حميدات مسكجوب، اتجاهات نقد القصة القصيرة في الجزائر، دار هومه، 2011، ص31.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

المجهول"⁽¹⁾ ، فالمصدر المجهول لا يعتد به وثيقة لدى المؤرخين ، ومرد ذلك هو نقص المراجع والمؤلفات " لذلك وجدنتي مضطرا إلى اصطناع ، المنهج الروائي في كثير من المواقف العلمية"⁽²⁾.

-الأحكام التي كان يصدرها يشوبها الغموض والاضطراب والتناقض، وقد صرح بذلك: " وأعدّل من بعض الأحكام التي قد لا تخلو من مبالغة أو غموض أو اضطراب أو ضعف"⁽³⁾.

-التركيز في المدونة التي كان يتناولها بالدراسة على مجموعة من النصوص أو كاتب من كتابها ، جعل دراسته قريبة إلى التاريخية منها إلى الأدبية وأحكامه غير قابلة للتعميم ،وقد شعر الناقد في كتابه" نهضة الأدب المعاصر في الجزائر " بذلك حيث يقول: " أشعر بأنه ضحل المادة من حيث كان ينبغي أن يكون غزيرة.... وذلك حتى يمكن معالجة المقالة الأدبية ودورها والمسرحية الحركة القصصية التي لم أتناول من أصحابها إلا كاتبا واحدا "⁽⁴⁾ ، لقد أفصح الناقد عن عدم رضاه لمنهج دراسته فشكل له قلقا معرفيا منذ البداية فنجده بعد ذلك يجرب المنهج تلو الآخر ومن بينها المنهج النفسي.

2-1 المنهج النفسي في كتابات عبد الملك مرتاض: لم يكن من صدى لهذا المنهج

في كتابات مرتاض النقدية ، ويمكن حصر أسباب عزوف الناقد عنه للأسباب التالية:
*تشكيكه في جدوى الدراسات النفسية.

*تزامن ظهور هذا المنهج في الجزائر مع بداية انفتاح الناقد على المناهج النصية
*عدم تقديم الجامعة الجزائرية لمقياس علم النفس الأدبي.

وأول إشارة في كتاباته إلى هذا المنهج وردت في كتابه(فنون النثر في الجزائري) وذلك لما تعرض إلى الجانب النفسي في القصة الجزائرية، خلال تلك الفترة ، ثم آب بعد

1- عبد الملك مرتاض نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص16.

2- المرجع نفسه ، ص06.

3- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

4- المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

ذلك منظرا لهذا المنهج في كتابه " في نظرية النقد " في فصل لم تتعد صفحاته الأربعين صفحة، وقفنا عندها على مجموعة من المحاور الرئيسية تكشف لنا رؤية (مرتاض) لهذا المنهج.

يقدم لنا الناقد تعريفا للتحليل النفسي ترجمه مباشرة من القاموس: HACHETTE ، فهو يتألف من عنصرين لكل عنصر معنى خاص به:

العنصر العلماني الأول ذو أصل إغريقي * PSUKHE و يعني النفس الحساسة .
العنصر الثاني * Analyse ويعني التحليل⁽¹⁾.

وفي البداية كان يستعمل الإغريق المصطلح (Psychanalyse Psychoanalyse) ومع الاستعمال المستمر وللتخفيف استغنوا عن اللفظ الثاني وحافظوا في الاستعمال على Psychanalyse. ويصطلح عليه بـ " التحلّفي"⁽²⁾ ومنه الظاهرة التحلّفية ، نحتا من اللفظين : " التحليل" و"النفسي" وإن كان هذا النحت من الشاذ في عرف الصرفيين ، إلا أن تداوله كما يقول: " لا يكون طبعاً في كل الاستعمالات وتقليبها وسنظل بذلك عاجزين عن نقل ، بعض المفاهيم الأجنبية، بهذا الصدد على حقيقتها ودقتها"⁽³⁾.

ثم يحيننا الناقد من خلال حديثه عن نشأة التحليل النفسي إلى تفسير الظاهرة الأدبية على أنها تعبير عن نفسية الأديب باعتباره تعبيراً عن الرغبة اللاشعورية أو "اللاوعي".
يقوم التحليل النفسي عند (مرتاض) على ثلاثة أسس:

*نظرية للحياة النفسية وضعها فرويد، وهي تنهض على وضع اللاوعي على أساس أنه موضوع يوجه بعض التصرفات انطلاقاً من عناصر مكبوتة.

*منهج البحث المعمق النفساني ينهض على هذه النظرية.

*علاج مباشر هذه المنهجية، و يقترب هذا المعنى من مفهوم التحليل.

1- عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد، ص135.

2- المرجع السابق، ص137.

3- المرجع نفسه، ص135.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

ويرى أن الدراسات النفسية تسعى لاستقصاء الظواهر الباطنية للنفس ويعدّ الخيال جزء من هذا الباطن، فأولته أهمية بالغة في بدراستها إلى ما يصير عن " خيال الإنسان من آداب، وفنون، وما ذلك إلا لأن المبدع إنسان قبل كل شيء"⁽¹⁾ ، فإن الخيال جزء من هذا الباطن " وما الإبداع الذي ينتجه إلا نتاج الخيال، وما خياله، في حقيقة الأمر، إلا إفراز اللاوعي نفسه منذ صباه إلى حيث هو من العمر، ولعل من هذه الزاوية، أي من زاوية المبدع - الإنسان - تسربت نزعة التحلّفي إلى الإبداع"⁽²⁾، فالإبداع إذن هو المولود الشرعي لهذا الخيال وهذا الخيال هو وليد اللاوعي، ومن هذا المنطلق ، فإن منهج التحليل النفسي في تعامله مع الظاهرة الأدبية، يعتمد إلى متابعة ألفاظ النص من أجل "الاهتداء إلى شبكة العلاقات القائمة بين النص ومؤلفه الذي يخضع ، في كتاباته، لحال من اللاوعي المتدفق عليه من ذكريات الطفولة المنسية"⁽³⁾ .

إن هذا اللاوعي التي تهتم به الدراسة النفسية ليس غايتها في الحقيقة وإنما يكون دالا على الوعي الذي تبحث عنه ،لذا ركزت على اللغة، وهنا تتقاطع اللسانيات مع التحليل النفسي فقد استعمل كل من الناقد النفسي واللساني نفس الوسيلة وهي اللغة في دراستهما ولكنها اختلفا في الغاية، فما يريده النفسي من اللغة ألفاظها وتعلّلها تعليلا نفسيا- على سبيل المثال-تكرار لفظ أو تكرار تركيب لا يجسد لدى التحلّفي إلا حالة نفسية يعيشها المبدع وتكشف هواجسه ومكوناته ،فهي تمضي أفقيا مع النص⁽⁴⁾، أما غاية اللساني فاللغة لوحدها ومن أجل ذاتها.

وحاول (مرتاض) توضيح العلاقة التي تربط بين اللغة والتحليل النفسي حيث يرى أنه في ضوء النهضة الأوروبية والتفاعل الحاصل بين الأدب ومختلف العلوم الإنسانية ، كان لا مناص للنقد أن يدخل مخابر التحليل النفسي

1- عبد الملك مرتاض:في نظرية النقد، ص140.

2- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه ، ص 141.

4- المرجع نفسه ، ص144

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

و يرى الناقد أن لهذا المنهج ضربا في التراث العربي ويتجسد ذلك في قول العرب : " لكل مقام مقال " إنما يريدون بذلك ما ترتاح إليه النفس الإنسانية وتهدأ؛ فالغزل، والوقوف على الأطلال، واستحضار الماضي، وذكر المناقب والفحولة كلها من صميم علم النفس، إذا كان للعرب مقام ، فمقام " مرتاض " هو (الجاحظ)، فكل حديث له عن التراث إلا واستحضره ، فكان الغائب الحاضر في منهجه، ويستحضره في هذا المقام من خلال كتابه " البيان والتبيين"والذي تعرض فيه إلى جزء من هذه الدراسات، غير أنّ هذا المنهج واجهته هو أيضا جملة من الإشكاليات جعلت الكثير من النقاد يعزفون عنه.

نقد نظرية التحليل النفسي : يرى أشياح هذه النظرية ك "مورون" و"لاكان" أن الظاهرة الأدبية لا يمكن دراستها بمنأى عن التحليل النفسي، ويدافعون عن " فرويد " باعتباره لسانياتيا محضا وذلك في توفيقه في استعمال اللغة " أثناء لحظات اللاوعي للبرهنة على حال النفس في لحظات الوعي"⁽¹⁾، وعليه فإن اللغة وحدها القادرة على التعبير عما في النفس من مدفونات الهواجس، ومكبوتات العموم "⁽²⁾، ومن أهم الانتقادات التي وجهت إلى النقد النفسي تلك التي وجهها " أندري أكون " إلى " جاك لاكان " حين جعل من " فرويد " لسانياتيا " بل: " إن ما نرى في " فرويد"، هو ذلك الرجل الذي لم يبرح طول الزمن يعنت نفسه أشق الإعانات حول كل عنصر من مادته اللسانية .ليحمل تفصلاتها على الانتظام فيما بينها، فذلكم هو .فرويد، اللسانياتي"⁽³⁾، أما " كلود ليفي شتراوس " فإن اعتراضه كان على ما قاله فرويد عن " تعبير الرؤيا وتأويل النصوص "ومن الآراء السابقة وغيرها يتخذ مرتاض موقفا من هذا المنهج:

1- عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد، ص.165

2- المرجع نفسه ، والصفحة نفسها.

3- المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

* إن نظرية التحليل النفسي لا تستطيع أن تكون منهجا كاملا متكاملًا، للنقد الأدبي⁽¹⁾، وذلك لأنها لا تهتم بالإبداع في اللغة الإبداعية بقدر ما تبحث في هذا الإبداع عن المبدع فتكشف مكبوتاته وهواجسه.

* إن نظرية التحليل النفسي يمكن أن تكون ظهيرا في تأويل بعض ظواهر النص⁽²⁾.
*تبحث عن الهدف خار إطار النص من حيث هو لا يوجد إلا داخل النص نفسه، المؤلف وحدة مشكّلة من دال ومدلول.

* إن نظرية التحليل النفسي والاجتماعي غيبت في دراستهما للكفاءة الجمالية.

ليتبني موقف "جون كوهين" الواسطي الذي لا يحرم التحليل النفسي من دراسة اللغة فذلك من حقه، ليبسط ما شاء ليتلاءم ودراسته ويرفض أن يسلط هذا الاتجاه على النص ويعتبر نفسه القادر على تحليل الإبداع الأدبي. لذا يتوجب على الناقد النفساني : "أن يعتمد على نفاذ البصيرة والمعنية الفكرة، فإنه لا سبيل إلى الإحساس الصادق والتعبير الصادق، إلا إذا كان الكاتب مزودا بقوة الفهم للنفس، وبالقدرة على سبر أغوارها، وبالحدق في تصييد خوالجها الباطنة"⁽³⁾.

نخلص مما سبق أن (مرتاض) في بداية تعامله مع المناهج الحداثية كان أشد قدحا للمنهج النفسي ، إلا أنه وفي كتاباته المتأخرة خفف من شدة الانتقادات التي كان يطلقها، فحين تلقاها لأول مرة وصف الممارسات النقدية النفسانية بـ " المزيفة المتسلطة" و بعد ذلك بدأ يعترف بفضل هذه المناهج في إثراء النص الأدبي وفق منظورها الخاص ومساهمتها في تطور الدراسات النقدية، وفي مقارنة بين جهود "مرتاض" و"صلاح فضل" في التنظير لهذه المدرسة النقدية، فإنهما يتفقان على قصورها في معالجة النص الأدبي، ويتبدد هذا الاتفاق حين ينتصر "مرتاض" لـ "كوهين" الذي طلب من هذه المناهج أن تقتصر جهودها على كل

1- المرجع نفسه ، ص158.

2- المرجع نفسه ، والصفحة نفسها.

3- محمد يوسف نجم: فن القصة، دار الصادر، دار الشروق، ط1، 1996، ص11.

ما له علاقة بها وتبتعد عن الخوض فيما ليس منها ، في حين أن " صلاح فضل " ذهب إلى ما ذهب إليه " لكان " الذي وجد علاقة بين البنية اللغوية واللاشعور فأنفذ هذا المنهج.

2-5-7- منهج التحليل النفسي في أعمال مرتاض:

رغم خوضه تجربة اتسمت بالتنوع المنهجي إلا أننا لم نقبض على أي عمل بهذا المنهج ، إلا حديثا مقتضبا على المضامين النفسية في القصة وذلك في مؤلفه " فنون النثر في الجزائر " أما ما عدا ذلك كان كله قدحا وتجريحا. لم يجد مرتاض حرجا في تغيير منهجه بعد أن أدرك أيضا فجاجة هذا المنهج ، فتوجه إلى آخر المناهج السياقية.

3-1- المنهج الاجتماعي: إن أصعب ما عانى منه النقد الاجتماعي في مجتمعنا

هو ما ذهب إليه السويدية " مارينا ستاغ " في كتابها " حدود حرية التعبير " حيث ترى " أن الإبداع القصصي هو أكثر أشكال الإبداع ارتباطا بحركة المجتمع ، وأن هذا الإبداع- غالبا - ما يصطدم بعوائق تتمثل في الممنوعات والمحرمات الاجتماعية ، نتيجة للمنظومة القيمية السائدة⁽¹⁾.

شكلت الممنوعات السياسية في الدول العربية الخطر المحدق على أي عمل يخالف تطلعاتها، فلا حق للأديب والناقد معا تجاوزهها، فاستجابا بالخوف طورا و بالعزوف أطوارا كما شكلت الخلفيات الفلسفية لمنظري هذا التيار عائقا لإيديولوجياتها التي تتنافى والقيم السائدة في المجتمع، ولا يختلف الوضع في الجزائر عن ذلك في تلك الفترة.

3-2- المنهج الاجتماعي في النقد الجزائري : بسط هذا المنهج هيمنته على الساحة

النقدية الجزائرية ردحا من الزمن، فالثورة الاشتراكية وما قرع من طبول حولها جعل كوكبة من الأعلام تتبنى هذا التوجه

إما مغازلة للخطاب السياسي من جهة وما يدره هذا التودد، أو إيمان بعض أصحاب هذا المنهج بأفكاره التي طرحها من جهة أخرى. ومن بين أبرز منظري هذا الاتجاه :محمد مصايف -مخل وف عامر -عمار بلحسن -الأعرج واسيني وغيرهم ، كما ساعد البعض

1- ينظر: صلاح فضل: مناهج النقد الأدبي المعاصر، ص 47.

الفصل الثاني: المنهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

منهم بامتلاكه لغة ثانية من ترجمة عدة أعمال أهمها "ترجمة مرزاق بقطاش" لكتاب " الرواية لـ" جور لوكاتش"⁽¹⁾ ، كما نلفي في كتابات نقادنا انفتاحا على قضايا الأمة العربية خصوصا القضية الفلسطينية، ومن بين هذه الأعمال كتاب "قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر لـ" عبد الله الركبي" ، ومما اتسم به هذا المنهج في نقدنا:

-تطبيقه على النصوص السردية -جسدت جدلية الشكل والمضمون نظريا.

-سيطرة مضمون العمل الأدبي على الجانب الشكلي الجمالي.حيث أغفل الناقد جماليات النص وانكب على المضامين يترصد فيها القضايا الاجتماعية التي يحملها. ففي كتاب "قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر" المؤلف من 199 صفحة لم يخصص صاحبه إلا ثماني صفحات للبنية الفنية.

-لم تراع الرؤية الطبقية -لم تطرح إشكالية المصطلح في هذا المنهج.

كما كان يسعى هذا المنهج إلى إحداث الوثبة اللازمة للخروج من دائرة التخلف، متشبعا بتلك الأفكار اليسارية التي ذاع صيتها في الفترة البومدينية، ويمكننا أن نجزم أن لا صوت كان يعلو على صوت هذا المنهج في هذه الفترة وطغى على أفكار مبدعينا وهللوا لثوراته الثلاث⁽²⁾ ، ونجد(محمد مصايف) يعبر بصدق عن أدب تلك الفترة: " كل ثورة من هذه الثورات الثلاث تجند طاقات بشرية هائلة وترصد أموالا طائلة ضخمة، وليس من حد يستطيع التعبير عن هذه الطاقات غير الأديب.3 "غير أن مع " عبد الله الركبي" صار هذا الاتجاه" يعبر عن مآسي الأفراد في أي مجتمع كان"⁽³⁾.

3-3-1 - المنهج الاجتماعي عند مرتاض: هو المنهج الوحيد الذي كان يرفضه

الناقد ، ولم يظهر في كتاباته إلا مرتين ، إحداهما تنظيرا في كتابه (نظرية النقد) والأخرى تطبيقا في كتابه: (القصة الجزائرية المعاصرة)، ففي كتابه الأول خصص لهذا المنهج فصلا

1- يوسف وجليسي: من اللا السونية إلى الألسنية ، ص42.

2- الثورات الثلاث: الزراعية،الصناعية،الثقافية.

3- محمد مصايف : دراسات في النقد والأدب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع -الجزائر، 1981، ص52.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

من ثلاث وعشرين صفحة موسوم بـ "النقد الاجتماعي في ضوء النزعة الماركسية" ، وشمل هذا الفصل عناوين فرعية:

*المدرسة النقدية الماركسية أصولها وفلسفتها.

*النقد الاجتماعي أو علم اجتماع الأدب

*بين سوسيولوجية الأدب والسوسيولوجية الأدبية.

يرى مرتاض أن العلاقة بين الفن والأدب بدأت تتكون في القرن التاسع عشر وازدادت تطورا في القرن الذي يليه ، حيث رصد تطوّر الفكر النقدي لهذه المرحلة -متكئا على منهج تاريخي- بداية من الرومانسية الشعبوية التي أسسها الكاتب " Johann Gottfried " إلى المدرسة الواقعية الروسية التي أسسها " بلي بيلينسكي " إلى مادام دوستال Madame Destael ووضعاوية" فكتور كوزان Victor cousin مؤسس النزعة الروحانية الانتقائية إلى (تين) Hippolyte Taine مؤسس النزعة النقدية العنصرية"⁽¹⁾.

ومما يثيره في هذا المسار هو تنكر الغرب لإسهامات العرب في هذا المجال خصوصا كتابات "ابن خلدون" وذلك ناتج لسياسة الإقصاء الممارسة على الآخر خصوصا إذا كان عربيا. إن الثنائية " فرد- مجتمع " وهي جوهر العلوم الاجتماعية انتقلت إلى الأدب واختلفت حولها النزعتان الليبرالية و الاجتماعية، فأنصار النزعة الليبرالية التي تنتصر للفرد تقول بـ "ضرورة سيادة الفرد واستقلالته داخل المجتمع الذي يعتري إليه"⁽²⁾، ولكن أنصار الجماعة ترى " ضرورة سيادة الجماعة، ولا شيء سواها كانوا يخشون أن يقضي ذلك على تمزق الترابط الاجتماعي"⁽³⁾ ، ومن هذا الصراع نشأت أزمة في هذا المنهج ينقلنا بها الناقد إلى جوهر النظرية الأدبية ويتساءل عن وظيفة الأديب والأدب ودور المرجعية في تشكله الأدب، "إذا كتب الأديب أدبا فهل يكون .هذا الأديب، حقا، ممثلا لنفسه، مستقلا بذاته، متفردا

1- عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد، ص112.

2- المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

بخياله؟ (...) أم أنه يكون مجرد ملتقط لما يجري فيه، ومتتبع لما يلزم عليه من خطوب، ومترجم لما يحدث بين طبقاته الاجتماعية⁽¹⁾، وهل " المرجعية الاجتماعية ضرورية لقيام أدب من الآداب... ؟ أم أن الأديب حر طليق، ومبدع وحشي: يكتب على جبلته الأولى " 2ما يريده علم الاجتماع من الأدب وفق رؤية الناقد هو أن يتجرد من وظيفته الأساسية " الأدب من أجل الأدب"، وأن تكون وظيفته اجتماعية، ومن هنا يوجه نقدا لهذا المنهج: " لعل علم الاجتماع أن يكون الفن سبيله إلى الأدب عن طريق الجمهور الذي هو جزء من الطبقات الاجتماعية التي تشكل حقا من حقول وظائفه... لكن أن يمتد الأمر بعلم الاجتماع إلى أن يتناول على جمالية النص الأدبي، وعلى خيالية المنتج الفني، فلن يعني ذلك إلا خوضه فيما لا نعتقد أنه قادر على الخوض فيه"⁽²⁾.

فالاجتماعي لا يقدر على جماليات النص لما تتطلبه من تحكم في اللغة وروعة استعمالها، والتي يعتبرها " الحلقة المفقودة " فإن هناك حلقة تظل مفقودة في منهجه حين يدرس الظاهرة الأدبية التي تتطلب منه أن يتزود بثقافة لغوية متينة لا يمتلكها وما ينبغي له، ومنه ضرورة إمامه العميق بعلم اللغة العام، وبالأسلوبية وبالسيمائية" ليشن بعد ذلك نقدا شديدا عن البنية التكوينية والشكلانيين والماركسيين ، حيث يرى أن أهم ما استفادت منه المناهج الاجتماعية من الحدائث أنها قتلت هذا الفرد: " لكن سرعان ما زهدت هذه النزعة التي تمجد الفرد - البنيوية خصوصا - في الفرد الذي نادى بسيادته، وتكررت لوجوده، وكفرت بكيانه، فعمدت إلى مراجعة موقفها منه، منادية بموته (فاليري، فوكو، بارط، وغيرهم)"⁽³⁾.

إن الموضوعية تفرض علينا أن نعترف أن هذا المنهج أثرى الساحة النقدية ، وفتح أمام الناقد مواضيع كان عنها غافلا، فالمنهج الاجتماعي ما هو إلا امتداد للمنهج التاريخي

1- المرجع نفسه ، ص113.

2- المرجع نفسه، ص114.

3- المرجع نفسه ، ص15.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

نتيجة لتطور الدراسات المتعلقة بالعلوم الإنسانية، وهو قمة فكرة الوعي التاريخي⁽¹⁾ ، في ربطها طبيعة المستويات المتعددة في المجتمع، وقد أعاد الاعتبار لفئات مهمشة في المجتمع وسلط الضوء على أدبها ، ونقل الأدب من الذاكرة الرسمية- الذي فرضته الليبرالية، والذي يمجّد الفرد على حساب المجتمع -إلى الذاكرة المهمشة، وأصبح الأدب تمثيلاً للحياة على المستوى الجماعي وليس على المستوى الفردي⁽²⁾، ولقد ساهمت الواقعية بطلبها من الفن أن: "يقدم تمثيلاً دقيقاً للعالم الواقعي، وعليه أن يؤدي هذه الوظيفة . بطريقة موضوعية خالية من العواطف والنزعات الشخصية كما أن عليه أن يضع حداً لتدخل خياله"⁽³⁾.

ومن هذه الزاوية تمكنت من وأد أفكار الكلاسيكية التي عنيت بالمجتمع الراقي، ووجهت الأديب إلى الطبقات الشعبية في المجتمع، لذا تلقّف الواقعية مفكرون وساسة وأدباء ثوريون ليجعلوا منها النهج الذي يسرون على هديه، وقد أفاد هذا المنهج في ظهور العديد من النظريات والفلسفات أثرت ميدان الأدب منها نظرية "الانعكاس - الجمال - الالتزام" ، كما لهذا المنهج دور في كسر الجمود الذي اتسم به المنهج التاريخي ، رافضاً لكل أشكال الإقطاعية والبرجوازية وتمجيد الشخصيات و رفع شعار " دعوة الفن للمجتمع"⁽⁴⁾.

المنهج الاجتماعي في كتابات مرتاض: كان ظهوره خافتاً في أعمال (مرتاض) لأسباب قد تكون من منطلقات فكرية إذ كان ينظر إلى هذا المنهج على أنه فكر إيديولوجي لا منهج للكتابة، أو انكبابه على دراسات المناهج الحديثة ، فقد ظهر هذا المنهج أول مرة ظهوراً باهتاً في مصنفه " فنون النثر في الجزائر " ، حيث تناول القضايا الاجتماعية في القصة الجزائرية القديمة كما تناوله في " فن المقامات" ، واستعمله في بعض أعماله الروائية

1- صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص.34

2- عكاشة شايف : نظرية الأدب في النقد الواقعي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ج2، 1993، ص04.

3- صلاح فضل : منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، بيروت، 1986، ص12 وما بعدها.

4- أحمد كمال زكي: النقد الأدبي الحديث ، بيروت ط2، 1981، ص206.

الفصل الثاني: المناهج السياقية في كتابات عبد الملك مرتاض

"الخنزير" ، وفي كتاب نقدي له تطرق إلى المضامين الاجتماعية في القصة الجزائرية المعاصرة، سنتوقف عند بعض فصوله بالدراسة.

ويظهر هذا المنهج في كتابه: (القصة الجزائرية المعاصرة) في الفصل الأول : والذي وسمه بـ "المضمون الاجتماعي في القصة الجزائرية المعاصرة ، حيث درس مجموعة من القصص الجزائرية ذات البعد الاجتماعي وصنفها إلى ستة مجموعات ، باعتبار مضامينها حيث يقول "ألفينا مضمونها ينصب أساسا، على المناحي الاجتماعية ، فلم نكن مخطئين في هذا الجانب"⁽¹⁾ وهذه القصص هي:

*الكاتب وقصص أخرى، الأشعة السبعة، لابن هدوقة.

*القرار، الحبيب السايح.

*الصعود نحو الأسفل، الحبيب السايح.

*الأضواء والفئران، مصطفى فاسي.

*الصداع، أحمد منور.

أما أداته الإجرائية فقد عوّل كثيرا على الإحصاء رغبة وطمعا في البلوغ بالفكرة إلى العلمية الخالصة. هذه القصص تناولت مضامين متنوعة ، غير أن المضمون الاجتماعي في هذه القصص شكّل نسبة 58% مما جعلها تتطوي تحت القصص الاجتماعية⁽²⁾.

وقد سعى الناقد في هذه الدراسة استقصاء المحاور المشتركة بين هذه القصص وهي: (الفقر والهجرة والأرض والسكن) ، وهذه المضامين مجتمعة تجسد بصدق الأوضاع الاجتماعية التي يعيشها المواطن الجزائري إلى يومنا هذا ، وتكشف في الوقت نفسه مدى تفاعل الأديب مع مجتمعه، و تعبيره الصادق عما يعيشه المواطن الجزائري، ومشاركته همومه وآلامه.

1- عبد الملك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص 19.

2- المرجع نفسه ، ص 20.

خلاصة:

إذا كان زعماء المنهج التاريخي العرب من أمثال (طه حسين) و(أحمد أمين) و(غنيمي هلال) في توظيفهم للمنهج التاريخي أساؤوا للتراث وجعلوا من تلك الأشكال الأدبية الغربية حقائق مطلقة ، منكرين قدرة العرب على محاكاتها أو مجاراتها ، فإن (عبد الملك مرتاض) استخدام المنهج نفسه مطبقا كل مقولاته ليثبت أن تلك الأشكال الأدبية الغربية موجودة في تراثنا ، ويدحض بذلك افتراءاتهم وافتراءات من سار على دربهم من المستشرقين؛ كما وظّف هذا المنهج ليحقق للجزائر أدبها ، ويثبت أن هذا الأدب هو جزء من تراث الأمة العربية لا ينفصم عنه، كما استعان (مرتاض) بهذا المنهج لتأصيل كل الأشكال الأدبية المستحدثة.

وأفاده هذا المنهج في الاطلاع على المنجز العربي القديم ، هذا المنجز سيقم عليه (مرتاض) بعد ذلك مشروعه النقدي، أما المنهجين النفسي والاجتماعي ، فلم يحفل بهما، وبعد انفتاحه على النقد الحداثي ، لم تلق هذه المناهج إلا قدحا فرادى ومثى وثلاث وهذه طائفة من أقواله عنها: " المنهج الاجتماعي بما فيه من فجاجة ، في رأي الحداثيين على الأقل... لا يجدي فتىلا في تحليل الظاهرة الأدبية الراقية ، ولا في استنتاج نصوصها العالية " أو "ماركسهم فأقام الحياة كلها على صراع البنية السفلى ضد العليا... فجعلهم كالحيوانات، لا يبحثون إلا عن طعام يملؤون به بطونهم" ، وعن المنهج النفسي يقول: "ونحن نعلم أننا لا نستطيع الاتفاق مع غاية النفسانيين ولو أردنا ذلك" وعن التاريخي: " فلا بيئة ولا زمان ولا مؤثرات ولا هم يحزنون" وعنها جميعا: "...أفلم يأن لنا أن ننبد هذه المناهج الرثة التي قصارها العناية بصاحب النص والتسلط عليه بأسواط من اللوائم وطلب الطوائل؟ ومتى نعدل عن ذلك نهائيا، فنصرف الهمّ إلى التعامل مع النص وحده، فنسائله برؤية جديدة".

خاتمة

خاتمة:

تظل كتابات الدكتور عبد الملك مرتاض رصيذا ومرجعية أدبية إبداعية بما تميزت به من مميزات جعلتها تحوز الرجاحة والاهتمام ، وقد يؤكد ذلك الرسائل الجامعية والأبحاث العلمية التي كتبت من حول هذه الجهود التي تهيأت لها كل الظروف لأن تكون تجربة رائدة في النقد الأدبي المعاصر عموما والجزائري خصوصا. حتى شكلت في مجملها مشروعا نقديا عربيا، ينهض على ثنائية التراث والحداثة ، وهو ليس بالأمر الهين أن يظهر ثمر هذا المجهود وتتبلور بعد أربعة عقود من العطاء المتواصل.

ومن خلال هذا البحث تحصلت على مجموعة من النتائج أهمها :

- 1- اشتغل (مرتاض) على المناهج السياقية لفترة تقارب العديدين سمحت له بالنتقيب عن المنجز العربي حيث اطلع عليه في جانبه النثري مثل القصة إلى المقامة ثم الخطابة والترسل ، وتوجه بعد ذلك إلى الأدب الجزائري فانكب على مدارسته ، كل ذلك ساهم في تكوين رصيده الثقافي ، وعمق لغته التي بالمتانة والقوة والجزالة.
- 2- أنشأ مشروعا نقديا زواج فيه بين التراث والحداثة .
- 3- لم تستهوا الناقد المناهج الاجتماعية والنفسية، وذلك لعدم مقدرتها على ملامسة الجوانب الجمالية في النصوص.
- 4- ظل محترما للصرامة المنهجية التي كانت تفرضها البحوث الأكاديمية.
- 5- اعتماده على المنهج التاريخي دفعه إليه غياب هذا المنهج في الساحة النقدية الجزائرية وهو الأنسب لإعادة كتابة تاريخ الأمة وأدبها.
- 6- لم يرغب التفريط في المكتسبات التراثية التي اكتشف أنها لا تقل شأنًا عما كان عند الغربيين غير أنها لم ترق إلى مصاف النظريات لغياب المناهج.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، مصر، طبعة محققة، ج 05 .
2. أبو بكر الرازي: مختار الصحاح، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988 .
3. أحمد بوحسن : مدخل إلى علم المصطلح، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت العدد(60-61) كانون الثاني، شباط، 1889
4. أحمد رضا حوحو نقلا عن: شريط أحمد شريط،مباحث في الأدب الجزائري المعاصر .
5. أحمد رضا حوحو : غادة أم القرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1988.
6. أحمد كمال زكي: النقد الأدبي الحديث ، بيروت ط1981،2.
7. أحمد مطلوب:معجم مصطلحات النقد العربي القديم،لبنان ناشرون،لبنان،ط2،2001.
8. الأعرج واسيني : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
9. انريك اندرسون إمبرت: مناهج النقد الأدبي، ترجمة الطاهر أحمد مكي،مكتبة الآداب،1991،، ص207.
10. ثامر فاضل : مقاربات النقاد المعاصرين، كتابات معاصرة ،المجلد 1 ع ، 2أذار 1989.
11. جهاد فاضل :أسئلة النقد (حوارات مع النقاد العرب)، الدار العربية للكتاب.
12. جورج سانتيا : الإحساس بالجمال، ترجمة محمد مصطفى بدوي، القاهرة.
13. جيروم ستولينتز ،عن مرشد الزبيدي :اتجاهات نقد الشعر العربي في العراق.
14. حبيب مونسى: فعل القراءة النشأة والتحول.
15. حميدات مسكجوب، اتجاهات نقد القصة القصيرة في الجزائر، دار هومه ،2011.
16. خالد أحمد أبو جندي: الجانب الفني في القصة القرآنية.
17. خالد بن محمد الجديع: الدراسات السردية الجديدة ، قراءة المقامات أنموذجا، جامعة الملك سعود، السعودية، 2007.
18. زكي الميلاد:من التراث إلى الاجتهاد، الفكر الإسلامي وقضايا الإصلاح والتجديد،المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 2004.

19. سعد ظلام: مناهج البحث الأدبي (دراسة تحليلية تطبيقية)، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ط2، 1996.
20. سورة المائدة ، الآية: 48.
21. سيد البحراوي :البحث عن منهج في النقد العربي الحديث،دار شرقيات ،القاهرة ،ط1،1993.
22. سيد بحراوي :قضايا النقد والإبداع الأدبي،الشركة الدولية للطباعة ،مدينة 6أكتوبر،مصر، 2003.
23. سيد قطب:النقد الأدبي أصوله ومناهجه،دار الشروق،القاهرة ،بيروت ،ط5.
24. شارف مزارى :جمالية الإيقاع في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه(مخطوط)، جامعة وهران ، 2004 .
25. شريط أحمد شريط: مباحث في الأدب الجزائري المعاصر، منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين، ط2001، 1.
26. شريط محمد شريط : تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية (1947-1985) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 1958.
27. صلاح فضل : منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، بيروت، 1986.
28. صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997..
29. عباس الجراري: خطاب المنهج، منشورات السفير، مكناس، المغرب، ط1، 1990.
30. عبد الرحمن بدوي :مناهج البحث العلمي .القاهرة دار النهضة العربية .
31. عبد الله إبراهيم:الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة،المركز الثقافي العربي ،بيروت ،ط1،1999.
32. عبد الله الركيبي : تطور النثر الجزائري ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع ،2009.
33. عبد الله الركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث: ط1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1981.
34. عبد الله الركيبي: القصة الجزائرية القصيرة، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس، ط3، 1977.

35. عبد الله الركيبي ، الشعر... في زمن الحرية، (دراسات أدبية نقدية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.
36. عبد الله خليفة الركيبي : القصة الجزائرية القصيرة.
37. عبد المالك مرتاض: فن المقامات في الأدب العربي ، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، تونس ، الجزائر، 1988.
38. عبد المالك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1954، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1983.
39. عبد المالك مرتاض: الألغاز الشعبية الجزائرية ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982.
40. عبد المالك مرتاض :مائة قضية...وقضية ،دار هومة الجزائر، 2012 .
41. عبد المالك مرتاض: مقامات السيوطي، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، 1996.
42. عبد المالك مرتاض:القصة الجزائرية المعاصرة، دار الغرب للنشر والتوزيع.
43. عبد الملك مرتاض : أ - ي .
44. عبد الملك مرتاض : في نظرية النقد، دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر، 2002.
45. عبد الملك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
46. عبد الملك مرتاض: القصة في الأدب العربي القديم، مكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والتوزيع والنشر، الجزائر، ط1، 1998.
47. عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1983.
48. عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم(دراسة في الجذور)، دار هومة، الجزائر، 2005.
49. عبد الملك مرتاض :التحليل الخطاب السردى ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
50. عبد الملك مرتاض :التحليل السيميائي للخطاب الشعري.

51. عبد الملك مرتاض :ألف ليلة و ليلة ، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمّال بغداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1993.
52. عبد الملك مرتاض:هل الحداثة فتنة ؟ مجلة المنهل ، ع516، مجلد36،يونيو1994.
53. عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1993.
54. عدنان حسين قاسم :الاتجاه الأسلوبي في نقد الشعر العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع، 2001.
55. العربي سليمانى :مجلة علامات ج59،مج15، صفر1427- مارس2006.
56. عكاشة شايف : نظرية الأدب في النقد الواقعي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،ج2، 1993.
57. علي جواد الطاهر:مقدمة في النقد الأدبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والمكتبة العالمية ،بغداد، ط2 ، 1983.
58. علي جواد الطاهر:منهج البحث الأدبي ،مكتبة النهضة ،العراق،ط2، 1972.
59. علي خذري : تحديث النقد الجزائري، حوليات الآداب واللغات ،ع2، ديسمبر 2013.
60. عمار بن زايد : النقد الأدبي الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري، الجزائر 1990.
61. العيد جلولي :إشكالية المنهج في النقد العربي الحديث والمعاصر،المكتبة الأدبية (موقع أنترنيت).
62. غستاف لانسون عن :وعد العسكري : المنهج الانطباعي النشأة التاريخية للانطباعية، الحوار المتمدن، العدد2، 202.
63. فاضل ثامر : شهادة شخصية مقدمة إلى الباحث مرشد الزبيدي بتاريخ 1993/12/25، وقد أذن بنشرها.مرشد الزبيدي:اتجاهات نقد الشعر العربي فيا لعراق، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999.
64. فخري ماجد :أرسطو المعلم الأول .الأهلية للنشر والتوزيع، 1977.
65. قادة عقاق :هاجس التأصيل النقدي لدى" عبد الملك مرتاض "بين وعي التراث و طموح الحداثة مجلة نزوى، عمان، ع38، أبريل2004.

66. كارلو نالينو: تطور النقد الأدبي في العصر الحديث، دار المعارف ، القاهرة، ط2، 1970.
67. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، القاهرة، ج2 ،مادة"تهج".
68. محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، منشورات كلية الآداب، المغرب، ط1، 1999.
69. محمد عباس "الناقد والمنقود" المجاهد الأسبوعي العدد530، 1970.
70. محمد عزام : تحليل الخطاب الأدبي.
71. محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر و التوزيع، القاهرة، (دط)، 1997
72. محمد مصايف : دراسات في النقد والأدب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر، 1981، ص52.
73. محمد يوسف نجم: فن القصة، دار الصادر، دار الشروق، ط1، 1996.
74. مرشد الزبيدي: اتجاهات نقد الشعر العربي المعاصر في العراق.
75. مرشد الزبيدي: اتجاهات نقد الشعر المعاصر في العراق.
76. مسلم حسن حسين: الخطاب النقدي العربي المعاصر إشكالية المنهج والنظرية، مجلة آداب البصرة، العدد 75 سنة 2011.
77. مولاي علي بوخاتم: الدرس السيميائي المغاربي (دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض و محمد مفتاح) ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005.
78. نادر كاظم : المقامات والتلقي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003.
79. يوسف الخياط:معجم المصطلحات العلمية والفنية، (عربي،فرنسي،انجليزي،لاتيني)، دار لسان العرب، بيروت.
80. يوسف وغليسي : الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض.
81. يوسف وغليسي : النقد الجزائري المعاصر من اللاسونية إلى الألسونية، رابطة الإبداع والثقافة، الجزائر 2002.

82. يوسف وغليسي: الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، رابطة إبداع الثقافية، 2002، ص 33.
83. يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من الألسونية إلى اللسانة ، إصدار رابطة إبداع الثقافة الجزائر 2002.
84. يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط3 ، 2010 .
85. يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم ناشرون(الجزائر، لبنان) ط1، 2008.

I. مراجع بالغة الأجنبية:

1. Le petit Robert Methode
2. Descartes, Discours de la Methode
3. Descartes Methode op. cit. in Hachette, Dictionnaire.

فهارس الموضوعات

الصفحات	الموضوعات
أ-ج	مقدمة
04	الفصل الأول : المنهج وإشكالياته في النقد العربي المعاصر
05	تمهيد
06	1- تعريف المنهج:
06	1-1- لغة
08	2-1- اصطلاحا
12	2- إشكاليات المنهج في النقد العربي المعاصر:
12	1-2 المنهج بين التراث والحداثة
15	2-2 التداخل المنهجي
21	3-2 أزمة المصطلح
24	3- النقد الجزائري الحديث والمعاصر:
24	1-3 إرهاداته النقد في الجزائر
26	2-3 محاولات التأسيس لنقد جزائري
28	3-3 عبد الملك مرتاض والتجربة النقدية
30	الفصل الثاني : المنهج السياقية في كتاباته عبد الملك مرتاض
31	تمهيد
32	1- المنهج التاريخي:
34	1-1 المنهج التاريخي في الجزائر
35	1-2 المنهج التاريخي وملاحظه عند مرتاض
67	2- المنهج النفسي:
67	1-2 المنهج النفسي في كتاباته عبد الملك مرتاض
72	2-2 منهج التحليل النفسي في أعمال مرتاض
72	3- المنهج الاجتماعي

72	1-3- المنصع الاجتماعي في النقد الجزائري
73	2-3- المنصع الاجتماعي عند مرتاض
78	ظلمة
80-79	خاتمة
87-81	قائمة المصادر والمراجع
90-88	الفهرس

الملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة الاقتراب من أعمال الناقد عبد المالك مرتاض من خلال اكتشاف رؤية الناقد للمناهج النقدية السياقية الغربية الحديثة ، وكيفية تعامله معها تنظيرا وتطبيقا، كالمناهج التاريخي والنفسي والاجتماعي وهذا بالبحث والتنقيب في مختلف مؤلفاته في هذا المجال .

الكلمات المفتاحية:

المنهج – الحداثة – التراث - السياق

résumé

Cette étude a pour but d'essayer d'aborder le travail du critique Abdul Malik Mrtad en découvrant la vision des approches monétaires critiques Western moderne contextuelle, et comment faire face à la théorie et de l'application, Kalmnahj historique, psychologique, sociale, et cette recherche et l'exploration dans divers écrits dans ce domaine.

Mots-clés:

Programme d'études – modernisme – patrimoine - contexte